



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري تيزي وزو - قطب تامدة -



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الأوقاف الإسلامية ودورها في التعليم في الجزائر  
خلال العهد العثماني

مذكرة مقدّمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص تاريخ  
الجزائر الحديث.

إشراف الأستاذ:

سعيد بورنان

إعداد الطالب:

يونس تمشيشات

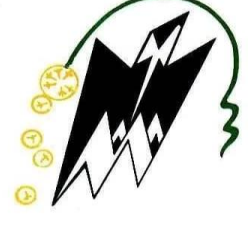
السنة الجامعية: 2024 - 2025م / الموافق لـ 1445 - 1446هـ



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري تيزي وزو - قطب تامدة -



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الأوقاف الإسلامية ودورها في التعليم في الجزائر  
خلال العهد العثماني

مذكرة مقدّمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص تاريخ

الجزائر الحديث.

إشراف الأستاذ:

سعيد بورنان

إعداد الطالب:

يونس تمشيشات

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيساً	جامعة مولود معمري	أ (ة) غنيّة بعيو
مشرفاً ومقرراً	جامعة مولود معمري	د. سعيد بورنان
مناقشاً	جامعة مولود معمري	د. عزيز خيثر

السنة الجامعية: 2024 - 2025م / الموافق لـ 1445 - 1446هـ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[سورة طه 114]

يقول أبو الأسود الدؤلي:

الْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ      فَاطْلُبْ . هُدَيْتَ . فُنُونِ الْعِلْمِ وَالْأَدْبَا  
لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَهُ أَصْلٌ بِلَا أَدَبٍ      حَتَّى يَكُونَ عَلَى مَا رَأَاهُ حَدْبَا  
الْعِلْمُ كَنْزٌ وَدُخْرٌ لَا نَقَادَ لَهُ      نِعْمَ الْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبُ صَحْبِ  
يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعْمَ الدُّخْرُ      تَجْمَعُهُ لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَ

## شكر و عرفان

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله..

الحمد لله، نحمده ونشكره ونستهديه، من يهديه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضِلِّ فلا هادي له. في البداية، أشكر الله عزَّ وجل على أن بلَّغني هذا المقام، ويسر لي سبل إتمام هذا البحث.. فبفضله عزَّ وجل وتسخيره لي أسباب النجاح، ها أنا على عتبة تخرجي وإعطاء ثمرة جهد خمس سنوات من التحصيل العلمي.. ومن هذا المقام أحمد الله وأشكره على توفيقه لي في إتمام هذا العمل، وأسأله أن يتقبله خالصا لوجهه الكريم..

وعملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"، أتقدم بجزيل الشكر لكل من قدم لي العون في هذا العمل من قريب أو بعيد..

وإني أوجه خالص شكري وعرفاني لأبي وأمي، اللذان رافقتني دعواتهما، في كل آن وحين.. وأشكر كذلك إخوتي وأهلي وخالاني، على كل ما قدموه لي، من دعم، ووصايا، وتشجيعات.. كما أتقدم بخالص تقديري، واحترامي، إلى كامل أساتنتي الذين درست عليهم في جميع الأطوار، وبالأخص في طوري الليسانس والماستر، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف **سعيد بورنان** الذي لم يبخل علي بتقديم النصائح والإرشادات، ولم يتوان في تقديم يد العون فيما احتجت إليه في مجال هذا بحثي، فإني أسأل الله عزَّ وجل، أن يبارك له في صحته، وأولاده، وأن يزيد علماء وفقهها..

دون أن أنسى الأستاذة **بعو غنية** رئيسة لجنة المناقشة، فإني أشكرها على الملف الذي قدمته لي، المليء بالمصادر والمراجع، التي أفادنتي كثيرا وسهلت علي طريق العمل في هذا البحث، فجزاك الله خيرا..

✚ يونس

## الإهداء

- للذي لا يعدله شئ في الوجود أبي الغالي.
- للنبع المتدفق بفيض الرحمة والإحسان والدتي حفظها المولى.
- لريحاتي أبي أختاي.
- للذي شد به عضدي أخي الغالي.
- الى صغيري العائلة، براء، ورؤيم.
- الى أهلي وأفراد عائلتي آل تمشيشات الكرام.
- الى أستاذي في مرحلة التعليم الابتدائي الشيخ "حسين بوريجان".
- الى الأستاذة "حجوط عقيلة" والتي رافقتني في فترة تربصي، والتي لم تبخل علي بنصائحها وارشاداتها، والى كل الأساتذة و الطاقم الإداري، لمتوسطة أحمد كبير، على توفير الجو المناسب في فترة تربصي، وتشجيعهم لي على اكمال الدراسات العليا.
- الى أستاذي بجامعة "مولود معمرى" الذين درسوني و علموني، كل باسمه ولقبه.
- الى "الأستاذة رقية بن خيرة"، التي لطلما، نصحتني وأرشدتني وحفزتني، جزاك الله عني كل خير، وفتح عليك من الفتوح ما يلمى أكف أمانيك.
- الى الأستاذ المعلم والمربي، "مشرفي سعيد بورنان"، الذي كان لنا نعم المعلم و المربي.
- الى أستاذي الغالي، "مريخي رشيد".
- الى الأستاذ، المناقش "عزيز خيثر"، الذي علمنا وأرشدنا.
- الى أصدقائي وخالتي ورفقائي، أحمد ياسين، رياض، أيمن، أكرم، فضيل.
- الى كل عزيز في القلب مسكنه، لكل من أحبنا وأحببنا،  
لم يسع لنا المقال لنذكره.
- الى أهل الرباط و الجهاد، الى أهل فلسطين، لأهل غزة العزة.
- اهدى لكم ثمرة جهدي وعملي.

مقدمة

## مقدمة:

### - التعريف بالموضوع:

يشكل الوقف الإسلامي أحد أهم الظواهر التي طبعت الحياة الداخلية للجزائر العثمانية، فهو عامل مؤثر في الحياة اليومية للجزائريين، في المجالات الروحية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، حيث عرفت الأوقاف الإسلامية في العهد العثماني انتشارا كبيرا وواسعا، ترجم الوازع الديني للجزائريين، وتعلقهم بالأعمال الخيرية، حيث تنافسوا وتفننوا في حبس أراضيهم وممتلكاتهم قربة لله عزّ وجل، وبانتشار الأوقاف وتكاثرها حظيت باهتمام كبير من طرف رجال السلطة، حتى بات الوقف في الفترة العثمانية مؤسسة دينية ذات بناء وتنظيم محكم، ميّزها عن غيرها من العصور الإسلامية السابقة.

وكان للوقف في العهد العثماني دورا هاما في الحياة الثقافية، باعتباره المصدر الأول لتمويل المؤسسات الدينية كالمساجد، والمدارس، والزوايا، والمكتبات، حيث أخذ الوقف على عاتقه مهمة الإنفاق على التعليم والمعلمين وطلبة العلم، في ظل غياب ميزانية رسمية تتولى هذه المهمة.

### - أسباب اختيار الموضوع:

بالنسبة للأسباب التي دفعني لاختيار هذا الموضوع الموسوم بـ: "الأوقاف الإسلامية في الجزائر ودورها في التعليم خلال العهد العثماني"، فيمكن إجمالها في الآتي:

- رغبتني الشخصية في دراسة موضوع الأوقاف والتعليم، باعتبارهما جزءا من الثقافة الإسلامية.
- ميلي للاطلاع على المواضيع التي تصب في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، والتي من بينها الأوقاف الإسلامية.
- تسليط الضوء على انتشار التعليم ومراكزه في الجزائر خلال العهد العثماني.
- إبراز أهمية الأوقاف الإسلامية في الجزائر باعتبارها المصدر الرئيسي لتمويل التعليم ومراكزه.
- إعطاء مقارنة بسيطة بين سياسة العثمانيين والفرنسيين تجاه الأوقاف الإسلامية.

## - الإشكالية:

اتفقت المصادر التاريخية على أنّ التعليم عرف انتشارا واسعا في الجزائر خلال العهد العثماني، وتفيد المصادر أيضا أنّ الدولة خلال هذا العهد لم ترصد للتعليم ميزانية خاصة، للإنفاق على طلبة العلم ومراكز التعليم، وأنّ الذي تولى هذه المهمة هي الأوقاف الإسلامية الآتية من تبرعات المحسنين، على اختلاف مراتبهم الاجتماعية. ومن هنا تبرز الإشكالية الرئيسية للبحث وهي:

- ما مدى مساهمة الأوقاف الإسلامية في تمويل ودعم التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني؟ وهل فعلا وفّرت الأوقاف بديلا عن تمويل الدولة للتعليم؟  
 ومن هذه الإشكالية الرئيسية يمكن استخلاص عدة أسئلة فرعية، مثل:
- كيف كان تنظيم الأوقاف في الجزائر خلال العهد العثماني؟
  - ما دور المؤسسات الوقفية في تمويل ودعم التعليم ومؤسساته؟
  - ما مصير الأوقاف الإسلامية بعد الغزو الفرنسي للجزائر؟ وكيف أثر ذلك على التعليم؟
- أهم المصادر والمراجع:

اعتمدت في انجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر أهمها:

**المصادر:** كتاب المرأة، لمؤلفه حمدان بن عثمان خوجة، حيث اعتمدت عليه في بيان فتوى العلماء حول جواز الوقف الأهلي، وكتاب التحفة المرضية لمحمد بن ميمون الجزائري حيث تكلم عن المؤسسات التعليمية في الجزائر. وكذا كتاب لـ "ألكسيس دي توكفيل"، وهو كاتب وسياسي فرنسي، وقد تضمن كتابه تقريرا تكلم فيه عن مصير الأوقاف والتعليم بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، والتقرير يعود إلى سنة 1848م.

**أما المراجع:** فقد اعتمدت خاصة على ما كتبه المرحوم أبو القاسم سعد الله في موسوعته "تاريخ الجزائر الثقافي"، الجزأين الأول والثاني، وبدرجة أقل الجزء الثالث، وقد ساعدتني هذه الكتب في مواطن كثيرة جدا منها موضوع انتشار التعليم، وكذلك عنصري منهاج التعليم ومراحلها، بالإضافة الى كتابه محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث.

واعتمدت أيضا على مؤلفات الدكتور ناصر الدين سعيدوني، رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، وهو أكثر الباحثين المهتمين بمسألة الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني، ومن كتبه التي استفدت منها كثيرا في هذا البحث: "الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني"،

"الوقف أثناء القرنين 18 و 19م"، وأيضاً كتاب "دراسة تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة". فهذه الكتب هي عمدتي في مواطن كثيرة، وخصوصاً في حديثي عن المؤسسات الوقفية، والنظام الإداري وموظفي مؤسسة الأوقاف.

كما اعتمدت على مجموعة معتبرة من المذكرات والرسائل الجامعية، وكذا المقالات العلمية، والتي يمكن الاطلاع عليها في قائمة المصادر والمراجع في آخر هذا البحث.

#### - المنهج:

وفيما يتعلق بالمنهج العلمية التي اتبعتها في هذا البحث، فقد تنوعت ما بين المنهج الوصفي، من خلال وصفنا للحياة العلمية والثقافية بالجزائر، والمنهج المقارن الذي استعنت به للمقارنة بين مراحل التعليم ومستوياته وبين المؤسسات التعليمية والوقفية من حيث كثرتها وتنوعها، دون أن ننسى المنهج التاريخي الذي لا يمكن الاستغناء عنه في هذا الموضوع، لما يقتضيه من سرد للأحداث والوقائع التاريخية وتحليلها.

#### - خطة البحث:

لدراسة موضوع البحث، والإجابة على إشكاليته، ارتأيت تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول بعنوان الأوقاف الإسلامية في الجزائر العثمانية، ويتشكل من مبحثين، المبحث الأول عرّفت فيه الوقف من حيث اللغة والاصطلاح، وتحدثت فيه عن مشروعية الوقف وأقسامه، وموقف رجال السلطة منه، أما المبحث الثاني فكان بعنوان: المؤسسات الوقفية في الجزائر العثمانية، تطرقت فيه إلى الحالة العامة للأوقاف الإسلامية، وأهم المؤسسات الوقفية.

الفصل الثاني بعنوان التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، وقد جعلته مبحثين أيضاً، المبحث الأول عن واقع التعليم ومؤسساته، تحدثت فيه عن انتشار التعليم، وعن المؤسسات التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني، والمبحث الثاني كان عن خصائص التعليم ومراحله.

الفصل الثالث والأخير، وهو عن دور الأوقاف في دعم وتمويل التعليم في الجزائر العثمانية، قسمته هو الآخر إلى مبحثين المبحث الأول بعنوان الأوقاف كمصدر أساسي لتمويل التعليم، تحدثت فيه عن غياب ميزانية رسمية للتعليم، ثم الأوقاف كمصدر لتمويل المؤسسات

التعليمية، وتغطية أجور المعلمين والمتعلمين. أما المبحث الثاني الذي هو مآل الأوقاف بعد الغزو الفرنسي للجزائر، فقد تكلمت فيه عن مصادرة السُلطات الفرنسية للأوقاف، وأثر ذلك على التعليم ومؤسساته.

أما الخاتمة فكانت عبارة عن أهم النتائج التي استخلصتها من دراسة الموضوع.

#### - الصعوبات:

لا شك أن لكل بحث صعوبات، ولكل باحث جاد صعوبات تواجهه وتقف في طريقه، ومن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث، وحالت دون إعطاء الموضوع حقه، وإخراجه في الصورة المطلوبة، والكيفية المرغوبة، أذكر:

- اتساع الموضوع وتشعبه، ما صعّب عليّ ضبط خطة البحث، والإحاطة بتفاصيله.
- قلة المصادر والمراجع التي تكلمت في الموضوع.
- ضيق المدة الزمنية المخصّصة للبحث، وهذه آفة يعاني منها كل طلبة الماستر خلال إعداد مذكراتهم.

- عدم معرفتنا باللغات الأجنبية عموماً، والفرنسية خصوصاً، ما صعّب عليّ التعامل مع المصادر الأجنبية، إلا ما ترجم منها.

لذلك ألتمس العذر عن كل ما يعتري هذا البحث من نقائص، سواء من حيث الشكل أو المضمون، وما شابه من أخطاء مطبعية، رغم الجهد المبذول في التصحيح والمراجعة.

الفصل الأول:

الأوقاف الإسلامية في الجزائر العثمانية

المبحث الأول: التعريف بالوقف وموقف رجال السلطة منه:

أولا- تعريف الوقف

1. لغة

2. اصطلاحا

ثانيا- مشروعية الوقف

ثالثا: أقسام الوقف

1. الوقف الأهلي

2. الوقف الخيري

رابعا- موقف رجال السلطة من الأوقاف

المبحث الثاني: المؤسسات الوقفية في الجزائر العثمانية:

أولا- حالة العامة للأوقاف

ثانيا- أهم المؤسسات الوقفية

1. أوقاف الحرمين الشريفين

2. أوقاف الجامع الأعظم وبقية المساجد المالكية

3. أوقاف سبل الخيرات

4. أوقاف مؤسسة بيت المال

5. أوقاف الأولياء والأشراف وأهل الأندلس

## تمهيد:

يعتبر الوقف الإسلامي من الظواهر الاجتماعية الدينية المنتشرة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، فقد لاقت الأوقاف انتشارا كبيرا حتى غطت جميع أنحاء البلاد، ويرجع هذا الى ارتباط المجتمع الجزائري بالدين الإسلامي وعقيدته المرتبطة بحب فعل الخير والعمل للدار الآخرة. فالوقف كما سنشير إليه من الأعمال التي لا ينقطع أجرها بعد وفاة الإنسان فهي من الصدقات الجارية التي ينتفع بها الإنسان بعد مماته. وفي هذا الفصل سنتحدث عن مفهوم الوقف وأقسامه، وعن المؤسسات الوقفية في الجزائر العثمانية.

## المبحث الأول

### التعريف بالوقف وموقف الرجال السلطة منه

يتضمن هذا المبحث، التعريف اللغوي والاصطلاحي للوقف، ومشروعيته وأقسامه، وموقف رجال السلطة منه.

#### أولا - تعريف الوقف:

1- لغة: معناه الحبس<sup>1</sup> يقال في اللغة وقفت الدار للمساكين وقفا، أي حبستها، وجعلتها صدقة لهم، والوقف والحبس، يراد بهما الشيء الموقوف، أو المحبس<sup>2</sup>.

2 . اصطلاحا: هو التصدق بالانتفاع بشيء مدة وجوده<sup>3</sup>، والوقف هو المراد بالصدقة الجارية التي ينتفع بها المتصدق بعد موته، وقد جاء فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم

---

<sup>1</sup> أبو الحجاج يوسف بن دوناس الفندلاني، تهذيب المسالك في نصره مذهب الإمام مالك، تحقيق: يحيى مراد، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص 748.

<sup>2</sup> الصادق عبد الرحمن الغرياني، مدونة الفقه المالكي وأدلته، ج4، دط، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2006م، ص 209.

<sup>3</sup> نفسه، ص 209.

حيث قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم<sup>1</sup>.

**ثانيا- مشروعية الوقف:** الوقف مندوب<sup>2</sup> إليه، ومن أعظم القربات وأبواب البر، وهو فعل خير وإحسان، والله يحب المحسنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>3</sup>. والأحباس سنة قائمة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، جاء في الصحيح من حديث ابن عمر: "أن عمر بن الخطاب أصاب أرضاً بخيبر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأمره، فقال يا رسول الله إني أصبت ما لا بخيبر لم أصب ما لا قط هو أنفس عندي منه فما تأمرني به فقال إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها قال فعمل بها عمر على أن لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث.."، ولم يكن أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم له مقدرة على الحبس إلا وحبس، ومنها حبس عثمان بن عفان رضي الله عنه لبئر رومة، وجعلها وقفا للمسلمين، يوم كانوا أشد ما يكونون حاجة إليها، وحبس علي وطلحة و الزبير وزيد بن ثابت..، دورا وحوائط، وجعلها عمر رضي الله عنه صدقة للسائل والمحروم<sup>4</sup>.

### ثالثا: أقسام الوقف:

**1- الوقف الأهلي:** وهو أن يوقف الإنسان على نسله أو ذريته أو أقربائه أو أولاده أو بعضهم<sup>5</sup>، ويعرف بالوقف الذري أو الأهلي وهو شائع في أغلب أقاليم الإمبراطورية العثمانية ومن ضمنها إيالة الجزائر<sup>6</sup>.

فهذا القسم من الوقف لا يعود الوقف الى الغاية التي حبس لها الا بعد انتفاء الورثة المنصوص عليهم في وثيقة الحبس، حسب ما أجازته المذهب الحنفي، حيث نقل حمدان عثمان

<sup>1</sup> أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ط1، مطبوعات ميموني للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 385.

<sup>2</sup> المندوب وهو من الأحكام التكليفية الخمسة، وهو ما يحدد فاعله ولا يعاقب تاركه.

<sup>3</sup> القرآن الكريم، سورة الحج 22، آية 77.

<sup>4</sup> الصادق عبد الرحمن الغرياني، مرجع سابق، ص، 210-211.

<sup>5</sup> محمود عبد الرحمن عبد المنعم، الوقف مفهومه - فضله - أركانه - شروطه - أنواعه، د د، السعودية، دط، 1466هـ، ص 320 - 321.

<sup>6</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني من القرن 17 الى القرن 19، طبعة خاصة، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 58.

خوجة في كتابه المرآة: أجمع الفقهاء بجواز العمل بمقتضى ما أفتى به المذهب الحنفي الذي يجيز حبس الهبات المشروطة، ولذلك كثرت الأوقاف وتزايدت لصالح الفقراء<sup>1</sup>.

فالمذهب المالكي الذي تعمل به غالبية الجزائريين يرى ضرورة صرف الحبس على المصلحة العامة مباشرة دون قيد أو إرجاء أو تردد، وفي الوقف الأهلي لا يتوفر شرط القيد والإرجاء، بينما المذهب الحنفي الذي كانت تتبعه الطائفة التركية وجماعة الكراغلة وبعض الحضر بالمدن الكبرى بالجزائر كان يسمح بجواز انتفاع الموقوف وعقبه بما حبسه من وقف بحيث لا يعود الوقف الى الغاية التي حبس من أجلها إلا بعد انتقاء الورثة المنصوص عليهم في وثيقة الحبس<sup>2</sup>، فيمكن القول هنا أن فقهاء المالكية يشترطون على من أراد أن يوقف شيئاً أن يوقفه مباشرة على عمل الخير والبر دون أن يشترط هو شروطاً، أما الحنفية فيرون أنه يجوز للواقف أن يشترط في وثيقة الوقف أن ينتفع بنوه وعقبه من خلفه بالوقف حتى ينقطع نسله ثم ينصرف الى المصلحة التي وقف لأجلها كالإنفاق على الطلبة أو مسجد أو زاوية وهلم جرا، وبفضل فتوى الحنفية أصبح الجزائريون يوقفون أوقافهم على حسب ما أفتى به علماء المذهب الحنفي.

**2- الوقف الخيري:** ويقصد به الوقف على جهة البر والمعروف، كالمساجد، والمدارس، والمستشفيات، والمكتبات، والفقراء، وطلبة العلم، وسمي بالخيري لاشتمال نفعه على المجالات الخيرية العامة<sup>3</sup>، وهو الذي يرى فيه المذهب المالكي أنه لا يجوز لمن وقف عليه أن يأخذ عوضاً عنه ببيع أو اجارة فلا يباع ولا يوهب ولا يتصرف فيه<sup>4</sup>، فهو يصرف مباشرة على المصلحة العامة التي حبس من أجلها بدون قيد أو إرجاء أو تردد<sup>5</sup>.

وتجدر الإشارة الى أنه عند انشاء عقد الوقف قد يكون مشتملاً على النوعين، فيكون جزء من الأعيان الموقوفة موقوفاً على جهة خيرية وجزءاً آخر يكون وقفاً على النفس ومن بعده على من يشاء من ذريته وهذا المعروف بالوقف الأهلي أو الذري<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> حمدان عثمان بن خوجة، المرآة، تحقيق وتعليق وتقديم: العربي الزبيري، منشورات ANEP، 2005، ص 238.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 58.

<sup>3</sup> محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مرجع سابق، ص 320 - 321.

<sup>4</sup> الصادق عبد الرحمن الغرياني، مرجع سابق، ص 209.

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 58.

<sup>6</sup> عليوان اسعيد، "أوقاف الجزائر في العهد العثماني ومساهمتها الاجتماعية والثقافية"، مجلة الإحياء، العدد الحادي عشر، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، د ت، ص 296-297.

وإنّ النوع الأول يكون محض للخيرات ابتداء، والثاني تكون الخيرات فيه انتهاء، لأنه لا بد أن ينص في أي وقف على أنه بعد انقراض الذرية أو الجهات الموقوف عليها فإنه يؤول الى الفقراء<sup>1</sup>.

والوقف الخيري جائز بإجماع فقهاء المسلمين مالم يترتب عنه ضرر عام أو خاص بورثة الوقف. وأما الوقف الأهلي فقد أجازته بعض الفقهاء كما أشرنا إليه سابقا من أتباع المذهب الحنفي، وحرّمه آخرون لما يترتب عليه من إخلال بقواعد الميراث، ومع أن الوقف صدقة إلا أنه يختلف عن جميع الصدقات لأن له صفة الدوام والاستمرار من جهة، ولأن موضوع التصدق فيه المنفعة المستمرة<sup>2</sup>.

#### رابعا: موقف رجال السلطة من الأوقاف:

لقي الوقف اهتماما وتشجيعا كبيران من طرف الحكام وولاية الأمور، حيث رسخ الحكام الأوائل نظام الأوقاف وسار عليه سائر الحكام بعدهم<sup>3</sup>، فلا يكاد يوجد حاكم ولا باشا ظل مدة طويلة في الحكم الا وقد بنى جامعا أو كُتَبًا أو زاوية ووقف الأوقاف على ما بناه، وهذا يخالف ما قيل عن العثمانيين أنهم لم يكونوا مهتمين بشؤون الدين، فقد دلت الآثار على أن العثمانيين كانوا يشعرون ببعض الواجب الديني والاجتماعي نحو المجتمع الذي كانوا يحكمونه، ومما لا يفوتنا ذكره أن بعض أوقاف المساجد و المرافق قد أوقفها عثمانيون كانوا في سابق الأمر مسيحيين لكنهم أسلموا، أمثال الحاج حسين ميزمورطو وعلي بتشين<sup>4</sup>.

ومن أقدم الواقفين العثمانيين في الجزائر خير الدين بربروس وخادمه عبد الله صفر، فقد بنى الأخير الجامع المعروف بجامع سفير سنة 1534م وأوقف عليه أوقفا بلغ عشر زويجات، وهي تقدر بحوالي مائة هكتار من الأرض، وأوقف عليه خير الدين قطعة أرض هامة، وأسس الباشا الحاج حسين ميزمورطو جامعا وأوقف عليه أراضي ودكاكين وسوقا وأوكل عليه مجلس إدارة مكة والمدينة، وقد وزع الوقف على إصلاح الجامع وتنظيفه وأداء الصلوات فيه، وقراءة الذكر والحديث، وقام عبيد باشا ببناء مسجد جامع وأوقف عليه وقافا جعلها تحت إدارة أملاك

<sup>1</sup> محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت، ص 169.

<sup>2</sup> عليوان اسعيد، مرجع سابق، ص 297.

<sup>3</sup> يوسف أمير، أوقاف الدايات بمدينة الجزائر وفحوصها من خلال سجلات المحاكم الشرعية 1671م - 1830، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2009-2010، ص 64.

<sup>4</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 234.

مكة و المدينة. واشتهر كثير من الباشاوات بالوقف على المساجد والمدارس ونحوهما أمثال: محمد بن بكير، والحاج محمد بن محمود، ومحمد بكداش الذي بنى زاوية للأشراف وأوقف عليها، وبنى خضر باشا مسجدا يحمل اسمه، واشتهر بالوقف والعناية به وبالقضايا العلمية والدينية في قسنطينة صالح باي، وفي معسكر الباي محمد الكبير، فكلاهما حكم الجزائر أواخر القرن الثاني عشر وحاول أن يمثل عصره عصر التنوير في الجزائر، كما عرف الباي حسن المعروف بوحناك الذي أنشأ الجامع الأخضر وأوقف عليه عدة أوقاف<sup>1</sup>.

ومن الدايات محمد باشا بن عثمان الذي أعاد بناء مسجد السيدة في ربيع الثاني 1198 بعد تعرضه لأضرار كبيرة، ويعتبر الداوي حسين باشا من أكبر الواقفين حيث أوقف عدة أملاك يصرف ريعها في مستلزمات المسجد الذي جدد بناءه "مسجد كتشأوة"، كما أنه قام بتوسعة مسجد شعبان خوجة سنة 1705، وحبس أيضا عدة عقارات من أجل صيانة المرافق العامة كسواقي المياه الداخلة لمدينة الجزائر، وحبس الداوي مصطفى باشا حانوت ابتداء على نفسه وذريته من بعده، وأوقف وقفيات على الأبراج و التكنات العسكرية و اهتم ببناء وصيانة المرافق العامة كسواقي الماء، وبناء الصهاريج داخل مدينة الجزائر<sup>2</sup>، كما بنى حسين باشا آخر دايات الجزائر مسجدا للخطبة و أعاد بناء مسجد الصفر 1826م ، واهتم بتشيد قنوات وسواقي المياه، وأوقف عليها عدة أملاك يصرف ريعها في ترميمها وتجهيزها بكل ما يلزمها<sup>3</sup>، وبالإضافة الى البايات الباشاوات و الدايات أوقف الوزراء والكتاب و كبار الضباط عدة أوقاف على مجموعة من المنشآت، فقد أسس رضوان خوجة زاوية له بقسنطينة و أوقف عيها، كما أوقف الحاج محمد خوجة أحد كتاب قصر الباشا، أوقافا ضخمة سنة 1190هـ على مدرسة عليا ومسجد وزاوية، وبنى أغا الصبايحية مصطفى بن مصطفى زاوية لسكنى الطلبة وأوقف عليها، وبنى البيت مالجي مصطفى بن الحاج محمد مدرسة لتعليم الأطفال وجعلها وقفا<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر..، ج1، مرجع سابق، ص 235-236.

<sup>2</sup> - يوسف أمير، مرجع سابق، ص، 85-91.

<sup>3</sup> - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر..، ج1، مرجع سابق، ص، 100-102.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 236.

هذا غيض من فيض مما أسهم به العثمانيون على اختلاف مكانتهم ومناصبهم في انتشار الأوقاف الإسلامية والعناية بها، وعلى عكس ما روج له الكثير من المؤرخين بأن العثمانيين لم يهتموا إلا بتولي المناصب وجمع الأموال والثروة على حساب الرعية، فإن الآثار التي خلفوها وتركوها بعدهم شاهدة لهم بأنهم قد ساهموا في الحياة الدينية والثقافية، وما الأوقاف التي أوقفوها أو اهتموا بها إلا نزر يسير مما قدموه للجزائر في فترة حكمهم، كما أن معظم الأوقاف الرسمية وشبهها كانت تذهب للزوايا والجوامع القائمة، مثل الجامع الكبير بالعاصمة وضريح الشيخ عبد الرحمن الثعالبي.

## المبحث الثاني

### المؤسسات الوقفية في الجزائر العثمانية

في هذا المبحث نتحدث عن وضعية الأوقاف في الجزائر خلال العهد العثماني، فبعدما أشرنا الى موقف رجال السلطة من الأوقاف في المبحث الأول، سنرى الحالة العامة للأوقاف خلال هذا العهد، وأهم المؤسسات الوقفية التي توزعت عليها الأوقاف. وتجدر الإشارة إلى أن المؤسسات التي سنتحدث عنها هي التي كانت لها علاقة بالتعليم من ناحية الدعم والتمويل خلال هذه الفترة.

#### أولاً- الحالة العامة للأوقاف:

تميزت الفترة العثمانية بالجزائر بكثرة الأوقاف وانتشارها في مختلف أنحاء البلاد منذ أواخر القرن 16م وحتى مستهل القرن 19م، وتزايدت الأوقاف حتى أصبحت تشكل نسبة كبيرة من الممتلكات. ففي سنة 1750م تضاعفت عقود الأوقاف اثني عشرة مرة مقارنة عما كانت عليه سنة 1600م، ويمثل هذا التزايد المستمر للأموال الموقوفة خلال هذه الفترة إحدى دورات المد الوقفي في تاريخ الجزائر. وفي هذه الفترة أيضا اتسع الوعاء الاقتصادي للأوقاف، حيث أصبح يشتمل على الأملاك العقارية والأراضي الزراعية، إضافة الى الدكاكين والفنادق والمخابز والأفران، إضافة الى المزارع والبساتين والحدائق المحبسة، حيث اشتهرت المدن بكثرة أوقافها<sup>1</sup>.

والملاحظ هو أن الأوقاف ازدادت عددا في أواخر العهد العثماني مقارنة بالفترة الأولى، حيث أصبحت تشكل نسبة كبيرة من الممتلكات الزراعية الحضرية منذ أواخر القرن 18م. وأحسن دليل عن التطور الذي عرفته الأوقاف في الجزائر العثمانية، هو ما أشار إليه ناصر الدين سعدوني بخصوص وضعية أوقاف سيدي عبد الرحمن الثعالبي، التي لم تتجاوز منذ أواخر القرن 15م وحتى بداية القرن 18م أحد عشر وقفا، ثم ما لبثت أن تزايدت بعد أن

<sup>1</sup> كمال منصوري، الإصلاح الإداري لمؤسسات قطاع الأوقاف دراسة حالة الجزائر، ط1، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، 1432هـ، 2011م، ص 273.

اكتسب صاحبها شهرة وشعبية وسط الأهالي منذ أواخر القرن 18م، حتى أصبح عددها عشية الاحتلال يناهز 82 وقفا. ونفس التطور عرفته كثير من المؤسسات الوقفية مثل أوقاف الجامع الأعظم بالجزائر العاصمة التي لم تتجاوز 159 عقدا وقفا خلال سنة 1540م - 1750م، ثم ما لبثت أن تزايدت منتصف القرن 18<sup>1</sup>.

وجدير بالذكر أن انتشار الوقف لم يقتصر على مدينة الجزائر وفحوصها بل شملت أغلب جهات البلاد الجزائرية، بحيث اشتهرت كثير من المدن والفحوص بكثرة أوقافها مثل، مازونة وتلمسان ومعسكر وقسنطينة وضواحيها، فقد كان عدد الأملاك المحبسة تزيد عن 170 وقفا منها 40 رحي، واقعة على وادي الرمال والباقي أملاك مختلفة وبساتين وأراضٍ زراعية.

لم تعرف الأوقاف تنظيما محكما واشرافا فعالا إلا في فترة متأخرة تعود الى أوائل القرن 18م حيث تشير الوثائق الى تردي حالة الأوقاف، والمبادرة التي قام بها صالح باي من أجل ضبطها وتسجيل مردودها في عدة دفاتر، تتوزع بين الموظفين والمكلفين وبرعايتها وهم ناظر بيت المال، وشيوخ البلد، والقاضي المالكي والقاضي الحنفي. والهدف من هذه التنظيمات التي خضعت لها الأوقاف كان الهدف منها وضع حد للتهاون والتحايل على الأوقاف<sup>2</sup>.

### ثانيا- أهم المؤسسات الوقفية:

لقد توزعت الأوقاف الإسلامية على مؤسسات خيرية ذات طابع ديني، وتخضع هذه المؤسسات لتنظيم وقانون إداري خاص بها، يضمن الحفاظ عليها وحسن تسييرها، وفيما يلي أهم المؤسسات الوقفية في الجزائر خلال العهد العثماني:

### 1- أوقاف الحرمين الشريفين:

تعود نشأة مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين الى ما قبل الوجود العثماني في الجزائر، لكن تطورها الإداري والمالي بلغ أوجه خلال العهد العثماني<sup>3</sup>، كانت تشكل أغلب الأوقاف الخيرية والأهلية، وذلك للمكانة السامية والمنزلة الرفيعة التي حظيت بها هذه المؤسسة لدى الجزائريين، وهذا باعتبارها موجهة لخدمة فقراء مكة والمدينة.

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 62.

<sup>2</sup> نفسه، ص 63.

<sup>3</sup> وفاء دريدي، "مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين بالجزائر ودورها في خدمة المجتمع الجزائري ومجمعي مكة والمدينة خلال القرن 11هـ"، مجلة تحسیر للأبحاث والدراسات متعددة التخصصات، العدد 1، 30 ديسمبر 2022، ص 77.

وقد كثرت أوقافها وزادت نسبتها بشكل كبير حيث بلغت نسبتها أواخر العهد العثماني ثلاثة أرباع الأوقاف الموجودة آنذاك<sup>1</sup>، وفقد دلت الإحصاءات على أهمية مؤسسة مكة والمدينة في الحياة الاجتماعية، فقد ثبت أن هذه المؤسسة كانت تملك في آخر العهد العثماني الأوقاف التالية: 480 منزلاً، 258 دكاناً، 33 مخزناً، 82 غرفة، 3 حمامات، كوشة، 4 مقاهي، فندق واحد، 57 بستاناً، 62 ضيعة، 6 أرحية<sup>2</sup>. وهذا يعطينا مجموعته: 1357 ملكاً عقارياً مردوده السنوي 36012.45 فرنكاً، يضاف لها كراء 201 وفقاً آخر يقدر محصوله بـ 7209.25 فرنكاً بحيث يصبح عدد الأملاك المحبسة على مؤسسة الحرمين الشريفين 1558، ومردودها السنوي 43222.70 فرنكاً<sup>3</sup>.

ولقد عرفت المؤسسة تنظيمًا إدارياً محكماً، إذ تولى تسييرها مجموعة من الموظفين وهم كالاتي:

**الشيخ الناظر:** يعتبر المسير الرئيسي للمؤسسة بإيالة الجزائر، ويريد في الوثائق تحت تسميه المتولي الأول أو وكيل الحرمين، يختاره الديوان من قبل الموظفين الأتراك المشهود لهم بحسن السيرة والولاء. يعينه في منصبه الداوي برضا الديوان، ومن بين النظائر نجد: الحاج رجب بن الطيب، التركي الحاج محمد آغا، عمر جليلو آغا بن صالح التركي<sup>4</sup>، وكان الشيخ الناظر يسهر على تطبيق ما جاء في وثيقة الوقف من شروط، وهو المسؤول على تنمية الوقف واستعماله في الأوجه التي صرف من أجلها<sup>5</sup>.

**وكيل أوقاف الحرمين:** يعتبر من أكبر الموظفين الإداريين بالمؤسسة يعين من طرف الباي أو الداوي، ويتم اختياره اعتماداً على علمه، وأخلاقه وسمعته الطيبة، وكفاءته، غير أن هذا التعيين غير محدد بفترة زمنية، فقد يتم استبداله متى ظهر منه الإهمال أو سوء التسيير،

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 66.

<sup>2</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 238.

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 67.

<sup>4</sup> نفسه، ص 159-161.

<sup>5</sup> أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 51.

وحينئذ يحق للمجلس العلمي عزله أو استبداله بوكيل آخر، وقد تكون وظيفة وكيل الحرمين وراثية في عائلة ذات مكانة مميزة في المجتمع<sup>1</sup>.

**البيت مالجي:** يعتبر مسؤول عن أملاك الدولة مما جعل منه المشرف على استخلاص حقوق الخزينة العامة في تركات المسلمين الشاغرة، التي ليس لها وارث، أو تلك التي منحت الشريعة الإسلامية قسطا منها للدولة. ويعين البيت مالجي من كبار الموظفين الذين يختارهم الديوان ويعينهم الداوي، وهو من المسؤولين الرئيسيين عن مؤسسة الحرمين الشريفين، وكان البيت مالجي يشارك الحجاج في رحلتهم الى الحجاز، ويحمل بهذه المناسبة هديه مؤسسة الحرمين المسماة الصرة، ومن بين من تولوا هذه الوظيفة: سعيد خوجة، عمار بن عبد الله.

**قاضي الحرمين:** يعين من طرف الهيئات القضائية، وكان يخضع لسلطة المفتي، يحضر العمليات المتعلقة بالأملاك الوقفية ويصادق على عقود الوقف التي يحررها الوكلاء<sup>2</sup>.

**العدول:** وهم معاونو القاضي المنتدبون لدى وكلاء الحرمين الشريفين، ففي كل عملية تخص الوقف كان الشيخ الناظر يعين اثنين منهم، لإطفاء طابع الشرعية على العملية وتؤكد من احترام القرارات المتخذة بشأن الوقف.

**الباشا شاوش:** وهو المسؤول على أعوان المؤسسة أو الشواش وهم الموظفون المستخدمون في مؤسسة الحرمين للقيام بأعمال الصيانة المختلفة، وبعض الخدمات اليومية في أماكن العبادة ومكاتب المؤسسة<sup>3</sup>، وكان الشواش يسهرون على مراقبة الممتلكات الموقوفة لصالح الحرمين، ومراقبة المداخل<sup>4</sup>.

**الصايحي:** وهو أمين سر المؤسسة وأمين صندوقها الرئيسي، يعتبر موظفا ثانويا يشرف على المعاملات المالية، ويراقب العمليات التي يقوم بها العدول بشأن الاملاك الوقفية ويحتفظ

<sup>1</sup> وفاء دريدي، مرجع سابق، ص 79.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 164-166.

<sup>3</sup> نفسه، ص 166-167.

<sup>4</sup> عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، دط، 2007،

بدفاتر المؤسسة<sup>1</sup>، ويعرف كذلك باسم العداد لأنه كان يشرف على الحسابات المتعلقة بالأوقاف<sup>2</sup>.

**المجلس العلمي:** تقوم هذه المؤسسة بمراقبة تسيير الإداري لمؤسسات الوقفية، على وجه الخصوص مؤسسة الحرمين يرأسها المفتي الأكبر والقاضي الرئيسي الحنفيان، ويساعدهما المفتي المالكي وقاضيان أحدهما مالكي والآخر حنفي. وأعضاؤه الآخرون من الأعيان، وهم: أمين الأمناء وشيخ البلدة وبالضرورة الناظر ووكلاء الحرمين، أما مهم المجلس فهي متعددة أهمها:

- دفع أجور الموظفين والأعوان المستخدمين من طرف مؤسسه الحرمين الشريفين.
- دفع علاوات الاشخاص المكلفين بالقيام بالشعائر الدينية، وتدریس القرآن والنصوص الإسلامية، ويتعلق الامر بالأئمة والخطباء والمؤذنين والقراء والمدرسين والطلبة.
- تقديم العون للمحتاجين والفقراء.
- صيانة وإعادة تأهيل المباني التابعة لمؤسسة الحرمين، حيث كانت نفقات الصيانة ضرورية للحفاظ على مردودية الأملاك الوقفية وضمان استمرارية الأوقاف الأهلية ومستوى إنتاجه الملكيات والمباني المستغلة مباشرة من طرف أعوان المؤسسة أو الموكلة لمستغلين الاخرين مقابل العناء(كراء)<sup>3</sup>.

## 2- أوقاف الجامع الأعظم وبقية المساجد المالكية والحنفية:

يعتبر الجامع الأعظم من أقدم الجوامع في مدينة الجزائر وأشهرها، حيث يعود تاريخه الى القرن الحادي عشر، فقد دلت الكتابة الموجودة على منبره أنه كان موجودا في رجب 409هـ / 1018م، وهو احدى أكبر المؤسسات الوقفية في ايالة الجزائر<sup>4</sup>.

تحتل أوقاف الجامع الأعظم المرتبة الثانية من حيث كثرة عددها ووفرة مردودها بعد مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين، ويعود أساس هذه الكثرة والوفرة الى الدور الكبير الذي كان يلعبه الجامع الأعظم في الحياة الثقافية والدينية، ولكثرة عدد المالكية في الحواضر الجزائرية

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 167.

<sup>2</sup> عائشة غطاس، مرجع نفسه، ص 248.

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 167-171.

<sup>4</sup> عائشة غطاس، الدولة...، مرجع سابق، ص 279.

الكبرى، حيث بلغ عدد المساجد المالكية في مدينة الجزائر 92 مسجدا مالكيا، خصصت له أوقاف تتفق عليه.

وكان في طليعة هذه الأوقاف الخاصة بالمساجد الحنفية أوقاف الجامع الجديد الحنفي، التي بلغت من الكثرة والتنوع ما يقارب 550 وقفا، شملت المنازل والحوانيت والبساتين والمزارع والضيعات وغيرها<sup>1</sup>. ونظرا لأهمية أوقاف مؤسسة الجامع الأعظم أسند أمر الإشراف عليها الى ثلاثة وكلاء، وكيل يشرف على أوقاف المسجد بوجه عام، وهو يخضع مباشرة الى المفتي المالكي الذي كان مقره بالجامع الأعظم، ويدير الوكيل الثاني أوقاف المؤذنين، أما الوكيل الثالث فتحت إشرافه أوقاف الحزابين<sup>2</sup>، فكل واحد منهم يشرف على مجال محدد ومستقل عن الآخر، وكان الإشراف على مؤسسة الجامع الأعظم يتطلب تنظيما وتسييرا دقيقين، نظرا لأهمية عدد الموظفين الذين يديرونها<sup>3</sup>، أما عن احباس المسجد الأعظم كانت كثيرة بحيث كانت توفر مدخولا سنويا قدر عام 1832 ب12000 فرنك، ساهم به 125 منزلا و 3 أفران و 39 بستانا و 19 مزرعة بالإضافة الى عناء 107 أوقاف أخرى، وعلى هذا فقد بلغ عدد الأملاك الموقوفة على الجامع الأعظم حسب وثائق البايلك 157 ملكية، منها 40 ملكية زراعية بفحص الجزائر<sup>4</sup>.

### 3- أوقاف سبل الخيرات:

تعد مؤسسة سبل الخيرات من أشهر المؤسسات الوقفية<sup>5</sup> حيث يعود تأسيسها حسب المصادر الى عام 999 هـ 1584م، على يد شعبان خوجة<sup>6</sup>، وللمؤسسة نفوذ كبير في المجتمع و الدولة<sup>7</sup>، فهي تحتل المكانة الثالثة من حيث أهميتها وعدد أوقافها، فهي تنظم مجموع المساجد الحنفية البالغ عددها أربعة عشر مسجدا كبيرا وصغيرا، وهي في مجموعها تتوفر على 331

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 68.

<sup>2</sup> الحزابين: معناه الذين يقرؤون القرآن يوميا في المسجد الأعظم وغيرهم من المساجد.

<sup>3</sup> عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية - اقتصادية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص 132.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 94.

<sup>5</sup> عائشة غطاس، الحرف.. مرجع سابق، ص 131.

<sup>6</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 68.

<sup>7</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 238.

وقفا ذات مدخول سنوي قدر سنة 1837 بـ: 13.639 فرنك<sup>1</sup>، وهي مؤسسة شبه رسمية، إذ أنها تشرف على جميع الأوقاف الخاصة بخدمة المذهب الحنفي، من زوايا ومساجد ومدارس وموظفين وفقراء<sup>2</sup>، ويعود أمر التصرف في أوقاف مؤسسة سبل الخيرات الى المفتي الحنفي الذي يتولى الإمامة و الإفتاء بالجامع الجديد، وهو المسجد الرئيسي لأتباع المذهب الحنفي بالجزائر، وتعود أهمية أوقاف سبل الخيرات رغم قلة عدد المساجد الحنفية وكون غالبية الجزائريين أتباعا للمذهب المالكي، إلى غنى الطائفة التركية و الكراغلة و بعض العائلات الحضرية التي كانت توقف أملاكها لفائدة المساجد الحنفية نظرا لإتباعها للمذهب الحنفي<sup>3</sup>، أما عن المداخل التي كانت تعود على المؤسسة فهي تأتي مباشرة من كراء و استغلال الأملاك الموقوفة لفائدتها<sup>4</sup>.

#### 4- أوقاف مؤسسة بيت المال:

تعتبر مؤسسة بيت المال من أهم الهياكل الإدارية في الجزائر أثناء العهد العثماني<sup>5</sup>، ذلك أن هذه المؤسسة كانت من جهة سياسية ومن جهة أخرى خيرية، فقد كانت ترعى جميع أموال اليتامى والغائبين والأملاك التي تصادرها الدولة وكذلك التركات، وتقوم بأعمال خيرية وإنسانية واجتماعية كدفن فقراء المسلمين وتوزيع الصدقات على حوالي مئتي فقير كل يوم خميس، وتقدم الهدايا في كل عيد الى الباشا وحاشيته، كما أنها كانت تصون الأملاك الواقعة تحت طائلها، وتدفع مبالغ شهرية الى خزينة الدولة<sup>6</sup>، وكان يشرف عليها موظف سام يعرف ببيت مالجي يساعده قاضي يلقب بالوكيل، ويتولى شؤون التسجيل فيها موثقان يعرفان بالعدول ويلحق بهما بعض العلماء.

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسة تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001، ص 208.

<sup>2</sup> عائشة غطاس، الحرف.. مرجع سابق، ص 131.

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 69.

<sup>4</sup> نفسه، ص، 92 - 93.

<sup>5</sup> لنوار صبرينة، "المهام الاقتصادية لمؤسسة بيت المال خلال العهد العثماني"، مجلة متبجة للدراسات الإنسانية، العدد 7، جوان 2017، ص 156.

<sup>6</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر.. ج1، مرجع سابق، ص، 242- 243.

ونظرا للأهمية البالغة التي حظيت بها المؤسسة فإن المشرف عليها أصبح يتمتع بصلاحيات متزايدة و استقلال حقيقي في إدارة شؤون بيت المال، فهو ليس مجبرا على تقديم حسابات عن عمله لموظفي البايليك وإنما هو مطالب فقط بتقديم مساهمة شهرية لخزينة الدولة بقيمة 700 فرنك وتغطية نفقات دفن الفقراء، والتكفل بأجرة القاضي والعدول وبعض العلماء التابعين لبيت المال<sup>1</sup>، أما بالنسبة لمداخيلها فقد صرح المفتش العام الفرنسي للمالية الذي زار الجزائر سنة 1833 بأن ما أدلى به البيت مالجي حول مدخول بيت المال الذي قدر أسبوعيا بـ 180 فرنك، أي ما يعادل 11340 فرنكا سنويا، هي أقل بكثير من العوائد الحقيقية التي تتحصل عليها المؤسسة، ويعود مصدر هذه الأموال الى التركات والأموال الشاغرة، فإن البيت مالجي كان يتصرف في بعض الأحباس الأهلية التي توفي عنها أصحابها بدون عقب واستوجب ارجاها الى المؤسسة الدينية الموقوفة عليها، وذلك لتتم الإجراءات المتعلقة بمضمون أحكام الوقف و العمل بوصية صاحب الوقف<sup>2</sup>.

#### 5- أوقاف الأولياء والأشراف وأهل الأندلس:

حرص الحكام العثمانيون في الجزائر دوما على التعاون لكسب أصحاب الطرق الدينية طوال فترة التواجد العثماني، وكان العثمانيون يتقربون الى المرابطين بشتى أنواع الوسائل كبناء الأضرحة للأولياء والوقف عليها<sup>3</sup>، حيث حظي أغلب الأولياء بأوقاف خصصت للإنفاق على أضرحتهم ففي مدينة الجزائر كانت تتوزع أوقاف الأولياء على 9 أضرحة 8 منها تقع داخل مدينة الجزائر، والآخر ضريح سيدي عبد الرحمن يقع نواحي جرجرة، وتأتي في مقدمة أوقاف الأولياء أوقاف سيدي عبد الرحمن الثعالبي التي قدرت في بداية الاحتلال بـ 69 وقفا بمدخول سنوي قدر 6000 فرنك تنفق على القائمين على الضريح ويوزع قسط منها على الفقراء كل يوم خميس بنسبة فرنك الى ثلاثة فرنكات لكل فرد<sup>4</sup>، وكان الأشراف كذلك من الفئات المتميزة في المجتمع ولهم أوقاف خاصة بهم، ومن الفئات التي كانت تتعاطف مع العثمانيين، وأنشأوا نقابة خاصة بهم ونقيب يسمى نقيب

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص، 98-99.

<sup>2</sup> نفسه، ص 98 - 99.

<sup>3</sup> عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 295.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 69.

الأشراف يتمتع بمكانة مرموقة لدى رجال الدولة والمجتمع<sup>1</sup>، وانتسبت الى جماعتهم 200 إلى 300 أسرة، خصص لهم الحكام العثمانيين أوقافا لرعايتهم<sup>2</sup>. ولأوقاف الأشراف وكيل خاص بها وليس هو النقيب المذكور، لأن النقبابة منصب معنوي، أما الوكالة فقد كانت مصب إداري<sup>3</sup>.

ومن الأوقاف نجد الزاوية التي أسسها الباشا محمد بكداش سنة 1121هـ، ونصت وقفية الباشا على هذه الزاوية ألا يقيم فيها سوى شريف غير متزوج، ولا يتولى فيها الإمامة والخطابة والدرس ونحو ذلك من الوظائف إلا شريف أيضا، وكما نصت الوقفية على أن الوكيل هو الذي يتولى تصريف شؤون الوقف، وأن الفائض منه يوزع على فقراء الأشراف المولودين في الجزائر وأنه لا يجوز للوكيل أن يأخذ شيئا من الوقف لنفسه إلا للضرورة. ولم يكن الوقف خاصا بالرجال فقط بل لهم وللنساء والأطفال<sup>4</sup>، ولا يقل أهمية عن أوقاف الأولياء والشرفاء أوقاف أهل الأندلس، فقد أنشأوا مؤسسة وقفية لتمويل عملية استقرار الفقراء منهم والوافدين الجدد للبلاد، الذين كانوا بحاجة الى الدعم والمساعدة للاستقرار في البلاد أطلق عليها شركة الأندلس، ويرجع تاريخ تأسيسها الى عام 1623<sup>5</sup>، وأصبحت من أغنى المؤسسات الوقفية، حيث بلغت أوقافها 56 دارًا و39 حانوتًا، فضلا عن قطع أراضي عقارية، وإن كانت هذه المؤسسة ظهرت عام 1623 فإن هذا لا يعني أن أندلسي مدينة الجزائر لم يعرفوا العمل الخيري قبل هذا التاريخ، حيث تشير أقدم وثائق الحبوس للجاليات الأندلسية أنه بحلول عام 1573 قام أحد أثرياء مدينة الجزائر بوقف أربع ورشات لصباغة اللباس ومحلا تجاريا في سوق القيصرية ومخزينين وطابقا علويا في أحد الديار، لفائدة الفقراء ومعوزي الطائفة الأندلسية في مدينة الجزائر<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر..، ج1، مرجع سابق، ص 241.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 70.

<sup>3</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر..، ج1، مرجع سابق، ص 241.

<sup>4</sup> نفسه، ص 242.

<sup>5</sup> فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، ج 2، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط2023، 2023، ص، 120.

121.

<sup>6</sup> نفسه، ص، 120. 122.

ويشير سعيدوني إلى أن أوقاف أهل الأندلس كانت تتأهز 40 مليكة مستغلة، و61 عناء سنويا كلها تساهم بدخل بلغ قدره في السنوات الأولى من الاحتلال 4000 فرنك، وقد كان يشرف على الأوقاف الخاصة بالأندلسيين وكيل خاص يعرف بنقيب الأشراف<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 100.

## الفصل الثاني

### التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني

#### المبحث الأول: واقع التعليم ومؤسساته:

أولاً- انتشار التعليم

ثانياً- المؤسسات التعليمية

1- الكتاتيب القرآنية

2- المساجد

3- والزوايا

4- المدارس

5- المكتبات

#### المبحث الثاني: خصائص التعليم ومراحله:

أولاً- خصائص التعليم

ثانياً- مستويات التعليم

1- التعليم الابتدائي

2- التعليم الثانوي

3- التعليم العالي

### تمهيد:

إن التعليم هو أساس تطور الأمم وازدهارها، فأمة بلا علم ولا تعليم هي أمة بلا روح، قابعة في ظلام الجهل والتخلف، وقد تحدثت المصادر التاريخية عن انتشار التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، انتشارا واسعا حتى غطى ربوعها، فلم يقتصر التعليم على المدن والحوضر الكبرى، وإنما انتشر حتى وصل الى القرى والجبال، بل امتد حتى بلغ الصحراء. في هذا الفصل نتحدث عن واقع التعليم ومؤسساته في الجزائر، وعن خصائص التعليم والمراحل التي مر بها خلال العهد العثماني.

### المبحث الأول

#### واقع التعليم ومؤسساته

في هذا المبحث نتحدث عن واقع التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، وكيف كان منتشرا في كامل أنحاء الجزائر، ونورد شهادات الكتاب والرحالة الأوروبيين، الذين انبهروا من الانتشار الكبير للتعليم وانعدام الأمية في وسط الجزائريين.

#### أولا - انتشار التعليم:

تحدثت كثير من المصادر التاريخية عن انتشار التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني واستعداد الشعب للتعلم، وحبه للعلم، واحترامه للمعلمين. وحكم الرحالة المغربي أحمد بن ناصر الدرعي بانتشار العلم في أصقاع بعيدة من الجزائر في وقته، مثل أولاد جلال وعين ماضي التي قال عنها إن أهلها كلهم طلبة<sup>1</sup>، يقصد طلبة للعلم. وشهد عدد من الفرنسيين زاروا الجزائر في بداية فترة الاحتلال بأن الأمية كانت منعدمة تقريبا في الجزائر، حتى أن "روزي" قال: "إن سكان الجزائر قد يكونون أكثر ثقافة من سكان فرنسا، فكل الناس تقريبا

<sup>1</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر..، ج1، مرجع سابق، ص 316-317.

يعرفون القراءة والكتابة والحساب"<sup>1</sup>. واعترف الجنرال "فالييري" بأن وضعية التعليم في الجزائر كانت جيدة قبل التواجد الفرنسي في الجزائر<sup>2</sup>، فقد كان التعليم منتشرا جدا، فلا تكاد توجد قرية أو حي يخلو من مدرسة قرآنية. وأكد هذا الأمر "ولسن استر هازي" فقال: "إن الجزائريين الذين يحسنون القراءة والكتابة كانوا في ذلك العهد أكثر من الفرنسيين الذين كانوا يقرؤون ويكتبون، إن 45 بالمئة من الفرنسيين الذين كانوا أميين آنذاك وأن الجزائر احتلتها جنود فرنسيون من طبقة جاهلة كل الجهل"<sup>3</sup>.

ويدعم هذا الموقف الكاتبة "يفون توران"، فتذكر في كتابها "المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمر"، نقلا عن الجنرال "دوماس" مدير شؤون الجزائر، قوله: "إن التعليم الابتدائي كان كثير الانتشار بالجزائر أكثر مما نعتقد عادة، وإن الذكور يحسنون القراءة والكتابة ويستطيعون تأدية صلواتهم وقراءة بعض السور القرآنية. لقد كانت لكل القبائل وكل الأحياء الحضرية مدارس بمدرسيها قبل الاحتلال"<sup>4</sup>. ويقدر دوماس عدد الشباب الذين يزاولون الدراسة في المدارس القرآنية، بحوالي 2000 أو 3000 طالب في كل مقاطعة، أما عدد الذين تمكنوا من دراسة علوم القانون، أي الفقه الإسلامي، وعلوم الدين، قدرها بحوالي 600 أو 800 طالب<sup>5</sup>.

وجاء في تقرير الجنيرال "بيدو" الذي قدمه لوزير الحرب، أن التعليم في قسنطينة كان منتشرا بصورة غير متوقعة لدى الفرنسيين، فقد كان فيها مدارس من مختلف المستويات. فمدارسها الثانوية والعالية تضم بين 600 و700 تلميذ، يدرسون علوم التفسير وعلوم الحديث، ومحاضرات في الحساب والفلك والبلاغة والفلسفة. كما كان بها 90 مدرسة ابتدائية يتردد عليها بين 1300 و1400 طفل. وكانت دروس المساجد التي عددها 35 مسجدا، المدارس

<sup>1</sup> مبارك الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، دط، ص 317.

<sup>2</sup> رحيمة قليل، حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة زيان عاشور الجلفة، 2020 - 2021م، ص 17.

<sup>3</sup> بخوش صبيحة، "وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد 2، جويلية 2008م، ص 135.

<sup>4</sup> نفسه، ص 135.

<sup>5</sup> آسيا بلحسن رحوي، "وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال"، مجلة دراسات نفسية وتربوية، عدد 7، ديسمبر 2011م، ص 60.

الثانوية التي عددها سبع مدارس، غاصة بالمستمعين، والأساتذة لهم شهرة كبيرة تجلب لهم الطلبة من بعيد<sup>1</sup>.

ومما يجدر بنا الإشارة إليه، هو أن هذا التعليم لم يكن خاصا بالرجال أو الصبيان فقط، بل كان للنساء والفتيات نصيب منه حيث يعلق "فيري شالر" بقوله: "هناك مدارس للبنات والنساء هن اللواتي يُدرن هذه المدارس، أما المرأة الريفية فقد كانت أكثر ظهورا من المرأة الحضرية، فكانت تتلقى في صباها قواعد الدين والقراءة على يد والدها إذا كان متعلما أو على يد مؤدب خاص"<sup>2</sup>.

وتضاف الى هذه الشهادات شهادة الرحالة الألماني "ولهلم شمبر"، الذي تحدث عن انتشار التربية والتعليم في الجزائر، فذكر أن الأطفال يذهبون إلى المدرسة في سن السادسة من العمر، يتعلمون فيها القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن، ثم يواصلون التعليم عند العلماء والفقهاء. ومنهم من يسافر الى تونس والقاهرة لإتمام دراستهم أو لتعلم الحرف وفنون التجارة، كما يذهب بعضهم الى ليفورنو لدراسة الطب واكتساب المعارف الأوروبية في مختلف الميادين<sup>3</sup>. ويقول في هذا الصدد: "لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أنني لم أعثر عليه، في حين وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب"<sup>4</sup>.

والأمر الملاحظ أيضا، هو الإقبال المتزايد للناس على طلب العلم وتحصيله، والتسابق الى أخذه عن العلماء والمدرسين، وحضور مجالسهم في مختلف الفنون والعلوم، وهذا سواء في البوادي والحوضر، حيث تلتقي شهادة أبو راس الناصري مع ابن سحنون الراشدي في أن المناطق البدوية كانت تعرف نشاطا علميا وتعليميا يعج بالعلماء والفقهاء. أما الحواضر العلمية فقد كانت تعرف حركة علمية ممتازة مثل حاضرة بني راشد، وماموننة، والجزائر ووهران وقسنطينة، حيث اشتهرت

<sup>1</sup> - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1945م، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1998، ص 26.

<sup>2</sup> - زهية دباب، "السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيو تاريخية"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 1، 8 جوان 2021م، ص 176.

<sup>3</sup> - أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط، 1975، ص 13.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 13.

بتعدد مجالسها وكثرة طلابها، وأهم ما يميز الحياة العلمية والتعليمية الإقبال المتزايد على حضور المجالس العلمية المختلفة والحرص على التدوين والكتابة والنسخ<sup>1</sup>. إن التعليم في الجزائر العثمانية لم يقتصر على مكان واحد أو منطقة جغرافية محددة، بل انتشر ليغطي كامل ربوعها، في مراكز علمية مختلفة حسب طبيعة كل منطقة جغرافية وسكانية في إيالة الجزائر، ويرجع فضل انتشار التعليم بالجزائر الى العلماء والمدرسين، الذين شدوا الرحال الى عواصم العلم، كمكة والمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة ليتعلموا في معاهدها، ثم عادوا الى وطنهم ليبثوا العلم وينشروه بين طلبتهم<sup>2</sup>. وبالإضافة الى العلماء والمدرسين، فإن المؤسسات التعليمية قد كان لها دور عظيم في انتشار التعليم، فهي التي احتضنت طلبة العلم على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم، وسهلت عليهم طريق طلب العلم من خلال توفير السكن ووسائل التعليم لهم، وكل ما يحتاجونه من أجل تعلمهم وتمدرسهم. وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر القادم الموالي من هذا المبحث.

### ثانيا - المؤسسات التعليمية:

تنوعت وتعددت مراكز التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، واختلفت أدوارها حسب مهام كل واحدة منها، لكنها اشتركت في تأدية نفس الوظيفة وهي التعليم، فصحيح أنه لم تكن للعثمانيين سياسة قائمة بالتعليم، إلا أنه كانت هناك مراكز ومنشآت مختلفة تهتم بالتدريس والتعليم وانتشرت انتشارا كبيرا في جميع أنحاء البلاد<sup>3</sup>، ومن أشهر مراكز ومنشآت التعليم نجد:

### 1 - الكتاتيب القرآنية:

هي من أكثر المراكز التعليمية انتشارا في الجزائر خلال العهد العثماني، إذ أقبل عليها الناس من مختلف البلدان العربية الإسلامية<sup>4</sup>، وتعد الكتاتيب القرآنية أول محل يتلقى فيه الطفل

<sup>1</sup> حمدادو بن عمر، "واقع الحياة الثقافية والفكرية أواخر العهد العثماني ببايك الغرب"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد 7، 5 مارس 2012، ص، 21-22.

<sup>2</sup> عبو إبراهيم، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 16-19م، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، 2018، ص 35.

<sup>3</sup> رحيمة قليل، مرجع سابق، ص 317.

<sup>4</sup> دخية فاطمة، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015، ص

الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصلصل. وقلم قصبي خصصت لحفظ القرآن العظيم<sup>1</sup>، للأطفال وترتيبه لهم<sup>2</sup>، وأسست من أجل تجنب المساجد ضوضاء الأطفال والحفاظ على نظافتها ووقارها للمصلين والمتعبدين، حتى يجدوا فيها جو العبادة والخشوع<sup>3</sup>، وأطلق عليها أيضا تسمية "المسيد"، وهي تصغير لكلمة مسجد، فهي مخصصة لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئ القراءة والكتابة للأطفال.

والكتّاب يكون في غالب الأحيان حجرة أو دكان، أو غرفة كان يفتحها أحد الواقفين على الشارع لتكون كتابا للأطفال، كما كان في زوايا المرابطين أجنحة خاصة لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم<sup>4</sup>، وهي توجد في كل الحواضر والقرى بصورة مكثفة، يزدحم حولها الأطفال ذكورا وإناثا من مختلف الأعمار. يجلسون على الأرض وفوق الحصائر والسجاجيد في شكل دوائر، يملى عليهم القرآن فيكتبونه في الألواح الصلصالية كما ذكرنا سابقا، وكان الجزائريون يقبلون على إرسال أطفالهم الى الكتاتيب دون تراخي، فقد كانت تنقف وتربي الأطفال على قواعد الإسلام وعلى نمط اجتماعي محدد، فهي تقوم بتحفيظ القرآن الذي هو أساس الثقافة الإسلامية، وتعلم الأطفال مبادئ العلوم والقراءة، فتحفظ ألسنتهم من العجمة، وتوحد خطابهم حيث ما كانوا، وهي تعطي الطفل معارف تساعده في شق طريقه في مجتمعه بعد خروجه منها. وعلى كل حال فان الكتاتيب كانت تؤدي وظيفتها الأساسية في حماية المجتمع من ظلام الجهل والامية<sup>5</sup>.

## 2 - المساجد:

يعرف المسجد بأنه المكان الخاص الذي يؤدي فيه المسلمون الصلوات المفروضة، وصلاة الجمعة، وصلاة العيدين، وتحفيظ القرآن الكريم، وتعلم الفروض الدينية ومختلف العلوم الأخرى المتعلقة بحياة المسلمين، والتعريف بشؤون الناس ومعالجة بعض المشاكل والقضايا المتعلقة

<sup>1</sup> محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمدية، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص 58.

<sup>2</sup> يقصد بها هنا طريقة التلقين، وهو أن يقرأ الشيخ آيات من القرآن ويكررها على الطالب حتى يحفظها.

<sup>3</sup> يحيى بوعزيز، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرن التاسع عشر والعشرين"، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 7، 2005، ص 46.

<sup>4</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر...، ج1، مرجع سابق، ص، 276-277.

<sup>5</sup> نفسه، ص 279.

بالحياة اليومية للمجتمع<sup>1</sup>، كونها مدرة للوعظ والإرشاد الاجتماعي من خلال ما كان يلقي فيها من خطب كانت تدخل في إطار العبادات<sup>2</sup>. والعناية بالمساجد كانت ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري المسلم، فلا تكاد توجد قرية أو حيا في المدينة دون مسجد فقد كان ملتقى العباد، ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية<sup>3</sup>.

وتعد المساجد النواة الأولى للتعليم خلال العهد العثماني<sup>4</sup>، فيوجد في معظم المساجد مكتبات موقوفة على القراء والطلبة والأساتذة، وتختلف الكتب الموقوفة كثرة وتنوعا، ففي بعض الأحيان لا يوجد فيها سوى المصاحف والكتب الدينية والصوفية مثل صحيح البخاري، وتنبية الأنام في بيان علو مقام محمد عليه الصلاة والسلام، ودلائل الخيرات وكتب الأدعية والأذكار، ولكن بعضها كان يحتوي على كتب في العلوم المختلفة من أدب وطب وتاريخ ومنطق ورياضيات<sup>5</sup>.

ورغم الانتشار الواسع للمدارس لم تستطع الإنقاص من قيمة المساجد وإنما تعايشت معها في نشر رسالة التربية والتعليم<sup>6</sup>. فقد كانت المساجد والجوامع مركزا للمناظرات العلمية بين العلماء في المسائل الخلافية العامة، ومركزا يفصل في القضايا الفقهية الشائكة. وأما أشهر المساجد في الجزائر خلال العهد العثماني فنذكر: الجامع الكبير بالعاصمة الذي كان مقرا للمفتي المالكي والمجلس الشرعي الأسبوعي، والجامع الجديد بالعاصمة أيضا والذي كان مقرا للمفتي الحنفي الذي كان في مقام شيخ الإسلام في إسطنبول. وفي غير العاصمة نجد جامع الباي محمد الكبير في معسكر، فقد خطط له ليكون قاعدة كبيرة لنشر التعليم في المنطقة لينافس جامع القرويين في فاس، ومن أشهر المساجد في

<sup>1</sup> أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 12.

<sup>2</sup> دلباز محمد، "الحركة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني المساجد والكتاتيب - أنموذجاً -"، مجلة متون، 2008، ص 110.

<sup>3</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر...، ج1، مرجع سابق، ص 246.

<sup>4</sup> أحمد مريوش، مرجع سابق، ص 11.

<sup>5</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر...، ج1، مرجع سابق، ص 255-256.

<sup>6</sup> رشيدة شدرى معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر في فترة الدايات (1671-1830م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006م، ص، 51-52.

قسنطينة جامع سوق الغزل وجامع سيدي الكتاني والجامع الكبير الذي بناه حسن بوحناك سنة 1156هـ، "وكان للصلاة والتسبيح والتعليم" كما جاء في اللوحة المنقوشة عند بابه<sup>1</sup>.

واشترك في تأسيس وبناء المساجد في إيالة الجزائر، الأهالي والعثمانيون على حد سواء وكان اهتمامهم ببناء المساجد لدوافع دينية محضة في أغلب الأحيان وهي لخدمة الدين والتعليم، وجعلوا وظيفتها الأساسية التدريس، فإن وجود المساجد في الجزائر العثمانية يعطيها طابعا إسلاميا موحدا تلتقي فيه اهتمامات الحكام والمحكومين، وأحاسيسهم المشترك في نصره الدين وأهله<sup>2</sup>.

### 3 - الزوايا:

من أبرز ميزات العهد العثماني في الجزائر، انتشار الطرق الصوفية وكثرة مؤسساتها المعروفة بالزوايا. فلا تكاد توجد منطقة من مناطق الجزائر إلا وفيها زاوية تُسب لعالم أو شيخ أو شخص يعتبره الناس ولي صالح. فانتشار الزوايا لم يقتصر على المدن الكبرى فقط، بل غطى ربوع البلاد، من أرياف وصحاري، وجبال، اتخذها الأولياء الصالحون مراكز يتعبدون فيها ويتلون الأذكار والأدعية، بعيدا عن صخب الدنيا، مؤثرين العزلة والعبادة. وكان يلتحق بهم المريدون والعامّة فيعلمونهم مبادئ الدين<sup>3</sup>.

واحتلت الزوايا مركز الصدارة بين مراكز الثقافة في تعليم المعوزين والفقراء، فكانت منبعاً للطلبة المتعطشين إلى العلم والمعرفة<sup>4</sup>، فقد كانت بالإضافة إلى وظيفتها الدينية، معاهد لتعليم الشبان وتزويج العامة، ومبيتاً للطلبة الداخلين، ومسكناً للفقراء والغرباء.

ومن أشهر الزوايا التي انتشرت في الريف الجزائري، زاوية خنفة سيدي ناجي، وخلوة عبد الرحمن الأخضر، وضريح سيدي خالد، وهي كلها في ولاية بسكرة بالجنوب الشرقي للجزائر. وزاوية محمد بن علي المجاجي بولاية الشلف. وفي منطقة زواوة يطلق على الزوايا أيضا تسمية "ثعمرين"، والمفرد "ثعمرت". ومن الزوايا المشهورة في هذه المنطقة: زاوية ابن علي الشريف في

<sup>1</sup> - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر..، ج1، مرجع سابق، ص، 258- 261.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 262.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 262-263.

<sup>4</sup> - محمد بن ميمون، مصدر سابق، ص 58.

نواحي بجاية، زاوية سيدي علي بن يحيى في بني كوفي، زاوية سيدي عمر والحاج ببلدية بوزقان، زاوية الشرفة بهلول قرب مدينة عزازقة، وزاوية عبد الرحمن الأزهري بجهة بوغني<sup>1</sup>.

أما في المدن فمن أشهر الزوايا الزاوية القشانية في مدينة الجزائر، والتي تحولت تدريجياً إلى مدرسة عليا أو معهد، وزاوية الفكور في قسنطينة والتي كان لها دور كبير في نشر التعليم، وزاوية مازونة في معسكر، وزاوية الحوت بتلمسان، وزاوية محمد التواتي في بجاية<sup>2</sup>. الخ.

وانقسمت الزوايا في أدوارها إلى قسمين اثنين، لكل قسم دوره، فالقسم الأول يقوم بتحفيظ القرآن الكريم، وقد يؤمّه الغرباء الذين سبق لهم أن تعلموا حروف الهجاء واستظهروا بعض السور القرآنية، أما القسم الثاني فإنه يقوم بتدريس بعض فنون العلم، كالفقه والعقيدة، وقواعد النحو والصرف، وفنون البلاغة والمنطق، وبعض مبادئ علم الفلك وغيرها من العلوم المعروفة في ذلك الوقت. وهذا القسم لا يؤمّه من طلاب العلم إلا من استظهر كتاب الله كاملاً<sup>3</sup>.

ويجدر التذكّر أنّ تسيير الزوايا أيضاً كان على نوعين: فهناك زوايا تخضع لأسرة بعينها، أي أنّ مشيخة الزاوية تكون متوارثة بين أفراد تلك الأسرة، وهذه تشكل أكثرية الزوايا، أما النوع الثاني فهي تلك التي يتولى تسييرها الطلبة أنفسهم. فالطلبة هم من يقوم على كل ما يتعلق بأمور الزاوية، من حيث النظافة، والصيانة، وطهي الطعام، وجلب المؤونة الغذائية، ورعي حيوانات المؤسسة، وهذا وفق قوانين محدّدة ومتعارف عليها من زمن بعد<sup>4</sup>. وينقسم الطلبة في هذه الزوايا أو المعمرات إلى عدة طبقات حسب السن والقدم والمستوى العلمي، أهمها:

• طبقة القدادشة: وهي جمع قداش، أو التلاميذ الصغار سناً بمعناها العام، الذين يحضرون لحفظ القرآن الكريم في بداية أمرهم.

• طبقة الطلبة: وهم فوق القدادشة ثقافة، يقومون بحفظ القرآن الكريم ويتعلمون بعض العلوم اللغوية والدينية، وتوكل إليهم مهمة الإشراف على القدادشة وتعليمهم وتحفيظهم القرآن، وعلاج المشاكل اليومية المختلفة كالترغذية والمراجعة والتنظيف والنوم والاستيقاظ وغيرها.

<sup>1</sup> للمزيد عن موضوع الزوايا، أنظر: محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، دمشق - الجزائر، د.ت.

<sup>2</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، مرجع سابق، ص، 268-269.

<sup>3</sup> محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص، 58-59.

<sup>4</sup> يحيى بوعزيز، مرجع سابق، ص 56.

• طبقة المقدمين والوكلاء وكبار الشيوخ: وهي أعلى طبقة، تتولى توجيه المؤسسة ماديا وفكريا، ولها كامل الصلاحيات في علاج المشاكل، وتعفى من المهام اليومية الشاقة والتي لا تليق بهم وبمقامهم.

لقد كان للزوايا على اختلاف طرق تسييرها دور بارز في تعليم القرآن وتحفيظه ونشره بين الأجيال الإسلامية الناشئة، وفي تعليم بعض العلوم الدينية واللغوية بصورة عامة، كما احتضنت الفقراء وآوت المساكين وقدمت لهم العون والمساعدات المجانية الممكنة ماديا وثقافيا، وقد تخرج منها أجيال من الطلبة ساعدتهم في شق طريق الحياة الى مستقبل.

وفضلا عن ذلك، فقد كان لشيوخ الزوايا وطلبتها إسهامات معتبرة في التصدي لهجمات الإسبان على الثغور الجزائرية، وخاصة في الجهة الغربية، أما في العهد الفرنسي، فقد كانت رائدة في قيادة حركة الجهاد الوطني ضد الغزاة الفرنسيين في مختلف جهات الوطن.

هذا وقد احتوت الزوايا على خزائن للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون، وذلك بفضل اهتمام شيوخها وأتباعها بالعلم والتعليم والنسخ والنقل والتأليف والجمع. وما يدمي القلب ويُحزن العين هو أن معظم ما بهذه الزوايا من تراث قد سُرب إلى البلدان الأوروبية في فترة المستدمر الفرنسي، وتعرض جزء كبير منه إلى التلف والضياع خلال مرحلة مقاومة الزحف الاستعماري، في القرن التاسع عشر، ثم خلال حرب التحرير الأخيرة 1954<sup>1</sup>.

#### 4 - المدارس:

هي أمكنة خصصت لإلقاء الدروس بها<sup>2</sup>، ووظيفتها تعليم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية. وجزت العادة أن تُؤسس هذه المدارس بجوار المساجد نظرا للصلة الوثيقة بين العلم والدين<sup>3</sup>، وقد كثرت في الجزائر المدارس الابتدائية حتى كان لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا قرية من قرى الريف، بل وانتشرت بين أهل البادية والجبال النائية، وهذا ما جعل زوار الجزائر خلال الفترة العثمانية ينبهرون من كثرة المدارس وانعدام الأمية في أوساط الشعب الجزائري<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، مرجع سابق، ص 54.

<sup>2</sup> محمد بن ميمون، مصدر سابق، ص 59.

<sup>3</sup> يحيى بوعزيز، مرجع سابق، ص، 44-45.

<sup>4</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر..، ج1، مرجع سابق، ص 274.

وتنوعت العلوم والمعارف التي تدرس بالمدارس، لذلك يمكن تصنيفها الى ثلاثة أصناف:  
أ - العلوم الدينية: مثل تحفيظ القرآن وتفسيره وشرح الحديث، وتعليم الفقه والتوحيد والمنطق والأصول.

ب- علوم اللّغة والأدب: كالنحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي وقواعد الإنشاء باعتبارها وسيلة من وسائل اتقان علوم الدين.

ج العلوم الطبيعية والتجريبية: كالفلك والحساب والطب والرياضيات والصيدلة العشبية وغيرها من العلوم المعروفة آنذاك بالعلوم العقلية.<sup>1</sup>

ومن أشهر المدارس المنتشرة في مدينة الجزائر، مدرسة القشاش التي ذكرها أبو راس الناصري في كتابه "عجائب الأسفار"، إذ شاهدها بالعاصمة في رحلته للحج سنة 1204هـ، والمدرسة العنانية التي هُدمت وبني على أنقاضها الجامع الجديد الحنفي وذلك سنة 1660م، ومدرسة الجامع الأعظم المالكي والتي كانت مشتملة على مسجد صغير داخلها. وكانت هناك مدارس أخرى بقسنطينة، وبجاية، ومازونة، ووهران، ومدرسة معسكر، وهي المدرسة المحمدية التي ذكرها أبو راس الناصري واشتهرت في عصره وقد أنشأها محمد بن عثمان الكبير فهو من بني المسجد والمدرسة<sup>2</sup>، والمقام هنا لا يسعنا لذكر كل المدارس فما ذكرناه قليل من كثير من المدارس التي كانت منتشرة في الجزائر خلال العهد العثماني سواء في المدن أو الأرياف.

## 5 - المكتبات:

إن الجزائر في العهد العثماني كانت في طليعة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات، وهذا بشهادة الذين حكوا على العثمانيين بأنهم لم يهتموا ولم يقدموا أي عمل لتنشيط الحياة العلمية في الجزائر<sup>3</sup>. فقد قال "بول قافاريل" Paul Gaffarel، واصفا حال سكان قسنطينة مع الكتب: "وكان أهل قسنطينة مولعين باقتناء الكتب والبحث عن نفائس المخطوطات أنى وجدت"، ووجد المستدمر الفرنسي عند دخوله قسنطينة ثمانية عشر مكتبة خاصة تحتوي على أربعة عشر ألف من المجلدات. ففي الجزائر كانت هناك مكتبات عامة وخاصة تضم أشتات المخطوطات في مختلف فنون الوقت،

<sup>1</sup> يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 45.

<sup>2</sup> المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، جمع واعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ص، 39.37.

<sup>3</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر..، ج1، مرجع سابق، ص 285.

لا سيما المكتبات العامة التي كانت وقفا على المساجد والزوايا والمدارس، وكانت المكتبات العامة موزعة على القطر الجزائري حسب أهمية الأماكن من الناحية الثقافية والاعتناء بتدريس العلوم لاسيما في المدن والحوضر الكبرى، مثل قسنطينة وتلمسان ومازونة والجزائر العاصمة<sup>1</sup>. فقد تحدث التمكروتي في أواخر القرن السادس عشر ميلادي عن وفرة الكتب في مدينة الجزائر حيث قال واصفا طلبة العلم: "وظلبة العلم فيها لا بأس بهم.. والكتب فيها أوجد من غيرها في بلاد إفريقية، وتوجد فيها كتب الأندلس كثيرا"<sup>2</sup>.

والكتب في الجزائر كانت تنتج محليا عن طريق التأليف أو النسخ، أو تجلب من الخارج خاصة من مصر والأندلس وإسطنبول والحجاز<sup>3</sup>، وكما ذكرنا، فإن هناك قسمين من المكتبات: **المكتبات العامة**، هي تلك المكتبات الملحقة بالمساجد والزوايا والمدارس، والتي كانت مفتوحة للطلبة خصوصا ثم لجميع القراء المسلمين، وكانت الكتب تزيد أو تنقص في هذه المكتبات على حسب الوقف الذي تتغذى منه وتبعا لأهمية الجامع وعدد سكان المدينة التي تتواجد فيها، فكلما كان مردود الوقف كبيرا وكان عدد السكان كثيرا والجامع عظيما عظمت معهم المكتبة وكثرت كتبها.

**المكتبات الخاصة**، والتي لها نفس دور المكتبات العامة غير أنها أصبحت تابعة لبعض العائلات نظرا لطول العهد بها، أو لشهرتها ومكانتها العلمية الدينية، كمكتبة عائلة الفكون التي اشتهرت في قسنطينة، ومكتبة أبي راس الناصري التي سماها بيت المذاهب الأربعة<sup>4</sup>. وأما عن نوع الكتب في هذه المكتبات فإن أغلبها لا يخرج عن العلوم الدينية أو ما يسمى كذلك بالعلوم النقلية، فأكثر الكتب كانت كتباً للتفسير والقراءات والحديث والشروحات، وكتب فقه الأصول والتوحيد.. إلخ. وكان للعلوم اللغوية والعقلية نصيب في هذه المكتبات غير أنها كانت بنسب قليلة مقارنة بالعلوم الدينية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص، 60. 61.

<sup>2</sup> أشرف صالح محمد سيد، "المراكز الثقافية في دار السلطان أواخر العهد التركي"، مجلة أماراباك، العدد 7، 2013، ص 71، 72.

<sup>3</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر..، ج1، مرجع سابق، ص، 285.

<sup>4</sup> نفسه، ص 296 - 297.

<sup>5</sup> نفسه، ص، 297-298.

ومن أشهر المكتبات العامة والخاصة التي انتشرت في ربوع الجزائر خلال العهد العثماني نجد، مكتبة الجامع الأعظم المالكي التي كانت شبه مكتبة خاصة، والخزانة العامة التي كان مقرها بالجامع الجديد الحنفي مركز شيخ الإسلام، واشتهرت كذلك خزانة الباي محمد بن عثمان الكبير في وهران، وخزانة المؤرخ أبي راس الناصري بأمر معسكر التي وصفها بأنها بيت المذاهب الأربعة، ومكتبة الشيخ سعيد قدورة<sup>1</sup>، والقائمة تطول ولا يمكن حصر المكتبات أو نكرها جميعا.

ورغم انتشار الكتب والمكتبات في الجزائر خلال العهد العثماني، واهتمام الحكام والعلماء وطلبة العلم بها، إلا أن مصيرها لم يكن آمناً، فقد ضاع وأتلف الكثير منها، بسبب الحروب والصراعات الخارجية، وما عرفته الجزائر من الثورات المحلية وأوبئة، فضلا عن النهب والتخريب، وكل هذه العوامل أدت إلى بعثرة الكتب، وإتلاف الكثير منها. ومثال ذلك مكتبة ابن الصخري التي أتلفت نتيجة الحروب التي خاضتها عائلته ضد العثمانيين، ومكتبة الزاجي التي بُعثرت وأتلفت خلال حرب الدرقاوة وفتنة ابن الأحرش. كما عانت مكتبة الشيخ أبي راس الناصري، ومكتبة الشيخ سحنون وأوراقه. كما أن مكتبة الجامع الأعظم قد نقلت إلى قلعة مولاي حسن بسبب قصف الأوروبين لمدينة الجزائر، وكان نلقها عن طريق الجمال استغرق مدة ثلاثة أيام، ما أدى إلى إتلاف الكثير من كتبها. كما أن الإهمال والنهب من أقسى ما أصاب الكتب أيضا، فقد روي أن الحاج أحمد قدورة، وكيل ومفتي الجامع الكبير بالعاصمة، كان مهملًا لمكتبة الجامع، فاستغله كثير من العلماء وأخذوا الكتب إلى منازلهم وبيع بعضها خارج الجزائر<sup>2</sup>.

كانت هذه أهم المؤسسات التي احتضنت العلم وأهله، وساهمت في انتشاره، فحفظت البلاد والعباد من ظلام الجهل والتخلف وأنارتهم بنور العلم، الذي كان يبيت فيها من خلال حلقات التحفيظ ودروس العلم، ومجالس العلماء والفقهاء والمعلمين.

<sup>1</sup> المهدي بو عبدلي، مرجع سابق، ص، 54-57.

<sup>2</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر..، ج1، مرجع سابق، ص 299-300.

## المبحث الثاني خصائص التعليم ومراحله

تميز التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني بجملة من الميزات والخصائص التي طبعت الحياة العلمية في هذه الفترة، وهو على ثلاث مستويات ومراحل، يختلف كل مستوى عن الآخر في كيفية التدريس، وأعمار الطلبة، والمستوى العلمي والمعرفي للأساتذة والمعلمين، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المبحث.

### أولاً- خصائص التعليم:

من خصائص التعليم في إيالة الجزائر أنه كان منتشرًا في الأرياف والمدن، حرا غير تابع للدولة، إذ يقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية، فالآباء هم من كانوا يسهرون على تربية وتعليم أبنائهم، لأن الدولة لم تهتم بالتعليم ولم تسن سياسات يسير عليها<sup>1</sup>، ولم يخضع لقوانين رسمية، وإنما كان يخضع للعادات والتقاليد<sup>2</sup>. ورغم أن العربية هي التي كانت لغة التعليم، فإن الوضع الثقافي عرف نوعا من الركود، فلم تكن هناك حركة فكرية تجديدية، ولا نهضة علمية، كما حدث في أوروبا منذ القرن السادس عشر، فظلّ الإنتاج العلمي ينحصر تقريبا في الموضوعات الدينية والتعليمية<sup>3</sup>.

ومن خصائص التعليم في العهد العثماني أيضا، أنه كان يركز أساسا على العلوم النقلية، ويعتد على شروح وحواشي فقهية وعقائدية دونها مصنفون من غير الجزائر، وقد بادر علماء

<sup>1</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر..، ج1، مرجع سابق، ص 314.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 204.

<sup>3</sup> سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، عالم المعرفة، الجزائر، ط2، 2020، ص 159.

الجزائر الى التصنيف والإنتاج، لكن مضمون ما ألفوه غلب عليه التقليد الأعمى من حيث التفكير، لعلماء المغرب الأقصى تارة، وتارة لعلماء المشرق العربي. ومن الناحية الأدبية فقد كان محصورا في المدائح النبوية، والمقطوعات الصوفية، ومرثيات بعض العلماء من الأشعار الغزلية والمقامات النثرية. وكان هذا الإنتاج الأدبي وليد المناسبات، مثل القصائد التي قيلت في فتح وهران أو التحريض على ذلك<sup>1</sup>.

واشتهر علماء الجزائر بتدريس علم القراءات أكثر من التأليف فيه، فظهرت عدة مراكز عُرفت بتدريسها لعلم القراءات فأصبحت مقصدا لعلماء الجزائر وخارجها من المغرب وتونس<sup>2</sup>، فقد كان القرآن أساسا للتعليم في الجزائر سواء كان تعليما ابتدائيا أو ثانويا أو عاليا<sup>3</sup>. ومن العلوم التي برع فيها الجزائريون وأنتجوا فيها علم الحديث ومصطلحه، فقد اعتنوا به تدريسا وتأليفا ورواية وإجازة، وهذا لصلة علم الحديث بالدين والتصوف معا، فعنايتهم بصحيح البخاري فاقت كل عناية، فهو الكتاب الذي اشتهر بينهم حتى بلغ عند بعضهم درجة القداسة، فكتبوا عليه الشروح والحواشي، وحفظوه وتدارسوه للعلم والبركة، فلصحيح البخاري في الحياة الاجتماعية والثقافية للجزائريين مكانة عظيمة نافست القرآن العظيم في كثرة الاستعمال<sup>4</sup>.

وإذا انتقلنا الى الإنتاج الفقهي، فإن التركيز في الدراسة سيكون على المذهب المالكي الذي هو مذهب أهل البلد وغالبية الشعب، حيث "سيطر مختصر الخليل"<sup>5</sup> على مختلف الدراسات الفقهية في الجزائر، فكثرت حوله الشروح والحواشي والتعليق، وهذا لا يعني أنه لم يكن للمذهب الحنفي الذي دخل للجزائر بدخول العثمانيين علماء ألفوا وكتبوا فيه، غير أن قصب السبق كان من نصيب الفقه المالكي<sup>6</sup>، ومن العلوم التي اشتهر بين الجزائريين أيضا علم الكلام، وعلم التوحيد على حد سواء، واعتبروه من أهم العلوم بل هو أهمها، فقد عرفه مصطفى الرمصاصي بقوله: "علم الكلام أوثق العلوم دليلا، وأوضحها سبيلا، وأشرفها فوائد، وأنجحها مقاصد إذ به

<sup>1</sup> محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 61، 62.

<sup>2</sup> عبو إبراهيم، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13 هـ / 16-19م، رسالة الدكتوراه، جامعة جيلالي النابيس سيدي بلعباس، 2018، ص 176.

<sup>3</sup> سعد الله أبو القاسم، محاضرات...، مرجع سابق، ص 160.

<sup>4</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص 25-26.

<sup>5</sup> كتاب مختصر وشامل في الفقه المالكي، ينسب لمؤلفه خليل بن إسحاق المصري.

<sup>6</sup> دهية بوشيبية، "العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 43، مارس 2012، ص 127.

تعرف ذات الحق وصفاته، ويصرف عنه مالا يليق به ولا تقبله ذاته". والعقائد السائدة لدى الجزائريين خلال العهد العثماني هي عقيدة الأشعري، وهي من عقائد جمهور أهل السنة، وكانت مؤلفات محمد بن يوسف السنوسي في العقائد هي المصدر المحلي لدراسة علم الكلام، واصطبغت هذه المؤلفات بصبغة صوفية<sup>1</sup>.

وسيطرة التصوف والروح الدينية السلبية على الحياة الثقافية، هي التي أضعفت العناية بعلم التاريخ والسير وأخبار الأوليين، كما أضعفت دافع التأليف فيها. فرغم أن كثيرا من الجزائريين كتبوا في التاريخ، لكنهم لاحظوا قلة الاهتمام بما كتبوه، فقد أشار ابن المفتي إلى أن التأليف والعناية بالتاريخ والأخبار لم تكن تحظى بالاهتمام، وقد حكم الورثلاني بأن التاريخ منعدم عند الجزائريين. والغريب في الأمر أن آراء ابن خلدون في التاريخ كانت معروفة عند الكثيرين، وكتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي كانت متوفرة عندئذ، وقد دافع كثير من علماء الجزائر عن علم التاريخ وفضله ومنزلته ومكانته بين العلوم، اذ يقول الورثلاني: "إن علم السير لم يكن إلا جزء من التاريخ، فيكيف يدرس الجزائريون حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وقصص الأنبياء، ولا يدرسون التاريخ الذي امتلأت به كتب السيرة بل القرآن نفسه"<sup>2</sup>. ألف الجزائريون في السيرة النبوية ونظموا فيها الأشعار والأراجيز<sup>3</sup>.

وإذا انتقلنا في حديثنا إلى العلوم العقلية، فإننا نجد أن إنتاج الجزائريين في هذا النوع من العلوم كان ضئيلا مقارنة بالقرن 15م<sup>4</sup>، فبقدر اهتمام الجزائريين بالعلوم النقلية كان إغفال العلوم العقلية، كالطب والكمياء والفلك والحساب، مما أدى إلى انحطاطها<sup>5</sup>. وقد لاحظ هذا بعض الكتاب الغربيين، ودونوه في كتاباتهم ومنهم "وليم شالر"، حيث يقول: "وأما حالة العلوم فهي غير موجودة يقصد بها العلوم النقلية، وإن كانت موجودة فهي محتقرة، فعلم الطب لا يوجد من يدعيه، باستثناء المشعوذين وكتاب الحروز"<sup>6</sup>. كما يصف الدكتور

<sup>1</sup> - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر..، ج2، ص، 91- 92.

<sup>2</sup> - نفسه، ص، 321- 323.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 326.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 404.

<sup>5</sup> - آل سيد الشيخ سعاد، رحلة المجاجي دراسة وتحقيق 1063هـ - 1652م، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2008، ص 22.

<sup>6</sup> - وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 81.

"توماس شو"، وهو انجليزي، حال الجزائريين مع العلوم فقال: "أهمل المحمديون العلوم بشكل غريب، على الرغم أنهم كانوا في وقت من الأوقات هم الشعوب الوحيدة التي مارست بنجاح دراسة الفلسفة والرياضيات والطب"<sup>1</sup>. ويُرجع "شو" سبب هذا الإهمال الى سياسة العثمانيين واعتنائهم بالتجارة وشؤون الحرب بدل عنايتهم بالعلم والعلوم<sup>2</sup>، كما أن انتشار التصوف الذي غلب على الحياة الثقافية، والاعتماد على النقل والتقليد الأعمى في غالب الأحيان، أدى الى ضعف التعليم بكامل الجزائر<sup>3</sup>، بل هذه الظواهر كانت عامة، إذ شملت كل العالم الإسلامي في هذا العهد.

وكما أشرنا إليه سابقا، فإن التعليم كان منتشرًا في كامل أنحاء القطر الجزائري خلال العهد العثماني، وكان الجزائريون في غالبيتهم يحسنون القراءة والكتابة، غير أن طرق التدريس لم تتغير ولم تتطور منذ مئات السنين. فقد ظلت تقليدية تقوم على حفظ المتون في الفقه واللغة، ولا تعتمد على أي وسيلة تربوية<sup>4</sup>، فالمُدرس كان حرا في وضع البرنامج الدراسي وإعداد الدروس، فبعضهم كان يعد دروسه في الصيف ليلقيها في الشتاء، وكانت معظم الدروس تلقى في الصباح وبعد الظهر وبعد العصر. كما كانت ميزة التعليم الشرح والإملاء<sup>5</sup>، ويجدر التذكير بأن من أبرز مميزات المدرس أو الأستاذ في هذا العهد: الحفظ والرواية، فالمعلم أو المدرس الكفاء هو من يكون موسوعيا يجمع بين العلوم المختلفة حفظًا ورواية<sup>6</sup>. ومن خصائص التعليم أيضا أنه كان هناك فرق في مستوى التعليم بين أساتذة وطلاب الحواضر والبوادي، فقد كان التعليم في الحواضر أقوى وأفضل مما هو عليه في البوادي، بحكم وفرة الكتب وحركة العلماء وتعارضهم، وكثرة الاحتكاك والتنافس بينهم خصوصا على المناصب<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - طوماس شو، رحلة إلى إيالة الجزائر، ترجمة وتعليق لخضر بوطبة، دار الباحث، الجزائر، 2022، ص 49.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 39.

<sup>3</sup> - رشيدة شكري معمر، مرجع سابق، ص، 33-34.

<sup>4</sup> - محمد العربي زيبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت، ص 48.

<sup>5</sup> - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر...، ج2، مرجع سابق، ص، 244-245.

<sup>6</sup> - نفسه، ص 346.

<sup>7</sup> - نفسه، ص، 348-349.

ومن خصائص التعليم في إيالة الجزائر، أنه كان مجانياً، فالطلاب لا يدفعون رسوماً سنوية من أجل التعلم والتدريس، وإنما كانت لهم جهات خاصة تنفق عليهم، وتهتم بشؤونهم وتسهر على تعليمهم.

كانت هذه بعض خصائص التعليم خلال العهد العثماني، لكن ما ينبغي التأكيد عليه، هو أنّ التعليم رغم انتشاره، وإتاحته للجميع، إلا أنه بقي يعتمد - كما قلنا - على الطرق والأساليب التقليدية التي غلب عليها التقليد الأعمى للسابقين. ثم إنّ سيطرة التصوف على الحياة العلمية والثقافية خلال هذا العصر قد أنتجت حالة من الجمود الفكري، وحالت دون قيام نهضة فكرية رغم هذا الانتشار الأفقي للتعليم.

### ثانياً- مراحل التعليم:

مرّ التعليم في إيالة الجزائر بثلاث مستويات، مختلفة البرامج والمناهج:

#### 1- التعليم الابتدائي:

اتفقت معظم المصادر أن سن تدرس الطفل في هذه المرحلة بين الست والعشر سنوات ويتم هذا النوع من التعليم في الكتاتيب<sup>1</sup>، ومدة التعليم في هذه المرحلة أربع سنوات يتعلم الطفل خلالها مبادئ القراءة والكتابة ويحفظ القرآن الكريم وأركان الإسلام وما يتعلق بشعائر الدين<sup>2</sup>، تحت إشراف معلمين يختارهم سكان القرية أو الحي. وكانت أجورهم تدفع من طرف الأوقاف المحبسة لصالحهم أو من طرف الأولياء<sup>3</sup>، وأجرة المؤدب غير ثابتة فهي تختلف حسب حالة أولياء التلاميذ المادية فالأسر كانت تدفع على قدر حالها<sup>4</sup>.

وطريقة التعليم الابتدائي كانت بسيطة بساطة التعليم نفسه حيث يجلس المؤدب في صدارة الكتاب متربعا على حصير، مسندا ظهره الى الجدار، ويده عصا طويلة تصل الى أبعد تلميذ عند الحاجة، وكان يراقب حركات التلاميذ وأداءهم لواجباتهم، وكان التلاميذ يتحلقون حول المؤدب في نصف دائرة وأحيانا في دائرة إذا كثر عددهم، جالسين على الحصير ويدي كل واحد منهم لوحة، كتب فيها درسان، درس الأمس ودرس اليوم، فإذا حفظ التلميذ الآيات المكتوبة على الوجه الأول

<sup>1</sup> رقية شارف، التاريخ والمؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني والى غاية 1267هـ/1850م، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2017، ص 42.

<sup>2</sup> سعد الله أبو القاسم، محاضرات...، مرجع سابق، ص 163.

<sup>3</sup> محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص 48.

<sup>4</sup> سعد الله أبو القاسم، محاضرات...، مرجع سابق، ص 162.

واستظهارها على المؤدب جاز له محوها وكتابة درس جديد، وبذلك يحل درس اليوم محل درس الأمس، وهكذا الى أن يعي التلميذ القرآن كاملا و يتقنه حفظا وكتابة.

يذهب التلاميذ الى الكُتاب مرتين في اليوم، صباحا ومساء، وفي كل مرة يبقون في الكتاب ساعتين، وجرت العادة أن جلسة الصباح للاستظهار والكتابة، ففي فترة الصباح يكون التلميذ صافي الذهن فيأخذ لوحته ويقراً فيها بعض الوقت ويستظهر درسه بنفسه أو مع زميله، فإذا تأكد من حفظه تقدم الى معلمه فعرض عليه ما حفظه، فان شعر المؤدب بأن التلميذ قد تمكن من الحفظ أدن له بمحوه، ثم يكتب درسا جديدا<sup>1</sup>.

يعتمد التعليم الابتدائي على الحفظ، فان أتم التلميذ حفظ القرآن كاملا ويكون في غالب الأمر بين سن العاشرة والثانية عشر، ويقضي بقية السنوات حتى الرابع عشر فما فوق في تكرار القرآن على شيخه برواية ورش وقالون وغيرهما، كما أنه يأخذ في إتقان القراءة والكتابة وتحسين الخط وتعلم مبادئ الحساب وحفظ المتون التي ستكون أساس التعليم الثانوي. وكان كثير من المؤدبين يسلكون مع تلاميذهم مسلكا تربويا جيدا فيشاطرونهم ألعابهم، حيث روى محمد بن سليمان أن مؤدبه، عمر بن يوسف كان يخرج مع طلبته يوم الخميس الى المرجع بتلمسان ويلعب معهم الكورة<sup>2</sup>.

ويستفيد الأطفال من عطلة أسبوعية عادة ما تكون يومي الثلاثاء والجمعة، وعطل دينية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى وعاشوراء، وأطول عطلة هي عطلة نهاية السنة والتي يفرح بها التلاميذ فبمنطقة الزواوة يقوم التلاميذ بتزيين ألواحهم بالزخرفة المحلية ذات ألواح متعددة وتسمى هذه العملية محليا بـ "أزوق أن تلوحث" وهذه كناية عن نهاية السنة الدراسية<sup>3</sup>.

## 2 - التعليم الثانوي:

يلتحق الطالب بمرحلة التعليم الثانوي غالبا في سن المراهقة بين سن الرابعة عشر والعشرين، ويمارس هذا النوع من التعليم في الزوايا والمساجد والمدارس، والتعليم يقدم في هذه المرحلة مجانا كمرحلة التعليم الابتدائي، ويسكن الطلاب الذين قَدِموا من أماكن بعيدة في

<sup>1</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 340.339.

<sup>2</sup> نفسه، ص، 342.341.

<sup>3</sup> رقية شارف، مرجع سابق، ص 43.

الزاوية المعدة لاستقبال الطلبة، والطالب حر في اختيار شيخه الذي يواصل معه<sup>1</sup>، ويتلقى العلم في هذه المرحلة من التعليم حوالي ثلاثة آلاف تلميذ في كل إقليم من الأقاليم الثلاثة، يدرسون مبادئ الفقه والميراث والحساب واللغة والنحو والصرف<sup>2</sup>، والتفسير والقرآن، وينال الطالب في النهاية إجازة شفوية<sup>3</sup>، تشهد له بأنه قد درس جميع العلوم التي تدخل في نطاق تخصصه، وبالتالي يمكنه أن يؤم الناس في الجامع ويتولى وظيفة مؤدب أو كاتب<sup>4</sup>.

وتعتمد هذه المرحلة من التعليم على أسلوب التلقين القائم على الشرح والإملاء، حيث يختار الشيخ مقرر في فن من الفنون، ويطلب مريديه بالاطلاع عليه، وفي الحلقة يقوم المسمع<sup>5</sup>، بقراءة نص أو جزء أو عنصر من الكتاب، ثم يقوم الشيخ بشرح النص فقرة فقرة، والتوسع في دقائق الأمور بالاستعانة بعلوم أخرى، وهنا تتضح قدرة المدرس على التوضيح والتعمق في الشروح والتوسع فيها، واستشهاده بالمنقول والمعقول بناء على كفاءته وقدراته العلمية، وبعد شرح الجزئية يقوم بإملائها ثم يفتح باب النقاش والتعقيب وطرح السؤال، ويرافق هذا قيام الشيخ أو من يكلفه بوضع حواشي لتقيد التعاليق وملاحظات الطلبة، ما أسهم في حركة التدوين والتأليف، وانتشار ما سيعرف بظاهرة الشروح والحواشي<sup>6</sup>. أما عن المواد التي كانت تدرس في هذه المرحلة:

ففي العلوم الدينية:

- تفسير القرآن الكريم بعدة كتب منها تفسير الثعالبي والسيوطي.
- الحديث الشريف وفي مقدمتها صحيح البخاري.
- الفقه المالكي برسالة زيد القيرواني.
- الفقه الحنفي بكتب مختلفة وأساسية في المذهب الحنفي.

<sup>1</sup> رقية شارف، مرجع سابق، ص 45.

<sup>2</sup> محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص 48.

<sup>3</sup> الإجازة الشفوية عبارة عن تركية من الأستاذ الى الطالب، وهي كالشهادات المكتوبة التي تقدم للطلبة المتخرجين.

<sup>4</sup> سعد الله أبو القاسم، محاضرات..، مرجع سابق، ص 165.

<sup>5</sup> المسمع: وهو من الطلبة الذي يقوم بالقراءة على الأستاذ وهو يسمع ويقية الطلبة، ثم بعد الفراغ من قراءة العنصر المطلوب يقوم الأستاذ بشرحه على الطلبة.

<sup>6</sup> رموم محفوظ، "حركة التعليم في الجزائر المحروسة بين 1500-1830"، مجلة الحقيقة، العدد 27، ديسمبر 2013، ص، 220-221.

- القراءات بمنظومة الجزري والشاطبي.
- ونجد في علوم اللغة ونحوها:
- النحو بالأجرومية وألفية ابن مالك.
- الصرف بلامية ابن مالك في الصرف.
- فقه البلاغة.<sup>1</sup>

ورغم سيطرة العلوم الدينية واللغوية على التعليم، فإن بعض المعلمين كانوا يهتمون بالعلوم المحضّة، ولكنهم قلة قليلة، ودراسة هذه العلوم لم تتطور، فإنها وإن كانت تدرس فتدريسها كان في غالبية الأمر لأغراض دينية، فعلم الحساب كان يدرس لفهم العمليات الأربع وممارسة التجارة، وعلم الفرائض كان يدرس لقسمة الميراث والتركات، أما الفلك فقد كان يدرس لمعرفة الزوال ووقت الصلوات الخمس والهِلال<sup>2</sup>. وبسبب اهمال هذه العلوم وعدم تدريسها من قبل علماء الجزائر، هاجم الكتاب الأوروبيين التعليم في الجزائر وقتها، بأن العلوم التجريبية غير موجودة و إن كانت موجودة فهي محتقرة، فالجهل بهذه العلوم وعدم تدريسها أمر لا يغتفر لمدرسي وعلماء الجزائر، لاسيما أنها كانت شائعة في العصور الإسلامية السابقة والتي ألف فيها كبار علماء المسلمين<sup>3</sup>، ولعل هذا يلخصه القول الذي ذكرناه سابقا وهو لتوماس شو بأن المحمديون أهملوا العلوم بشكل غريب، ويقصد العلوم الدقيقة، وأنهم كانوا في وقت من الأوقات هم الشعوب الوحيدة التي مارست بنجاح دراسة الفلسفة والرياضيات والطب.

لقد أصاب "شو" في قوله، ففي العصور الماضية برع المسلمون في علوم الطب والفلك والكمياء والفيزياء والرياضيات، وفاقوا الأوروبيين الذين كانوا يعيشون حينها في عصور الظلام والتخلف، حتى وصل بهم الأمر الى تحريم هذه العلوم وتجريم من يدرسها أو يدرسها، لكنهم في نهاية الأمر استقوا من علوم والمعارف المسلمين، وقاموا بنهضة سميت بالنهضة الأوروبية، وبنوا أسسها على العلوم التي أخذوها منهم، وفي المقابل أهمل مسلمو العصر الحديث تلك العلوم ففاقهم الأوروبيون وسبقوهم في العلم والمعرفة.

### 3 - التعليم العالي:

<sup>1</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص، 350-352.

<sup>2</sup> نفسه، ص 352.

<sup>3</sup> نفسه، ص 354.

كانت الدروس في هذا المستوى التعليمي تلقى في الجوامع الكبرى الرسمية، والمدارس، وبعض الزوايا<sup>1</sup>، حيث أشارت الإحصائيات إلى أن عدد الطلبة الذين وصلوا تعليمهم العالي خلال العهد العثماني كانوا بين 600 الى 800، يتلقون تعليمهم في مختلف المراكز، ففي إقليم وهران كان الجامع الكبير في تلمسان، وجامع سيدي العربي والزاوية القادرية، وفي إقليم الجزائر كانت زاوية ابن المبارك، وزاوية مليانة، وزاوية ابن محي الدين، أما في قسنطينة فهناك الجامع الأخضر، وجامع سيدي عقبة، وزاوية ابن علي الشريف في جرجرة<sup>2</sup>، يتولى التدريس فيها شيوخ وافري العلم، ملمين بالكتب، ومتمكنين من السيطرة على المجالس العلمية بحسن حديثهم، وسرعة بديهتهم وكفاءاتهم العلمية والمعرفية<sup>3</sup>، حيث أن الدروس التي كانت تلقى في الجوامع الكبرى كانت تضاهي بل تفوق أحيانا دروس الجامع الأموي بدمشق، والحرمين الشريفين بأرض الحجاز، لتتنوع الدراسات فيها وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

فدروس سعيد قدورة، وعلي الأنصاري، وأحمد بن عمار بالعاصمة، ودروس المقري بتلمسان، ودروس أبي راس في معسكر، ودروس الوزان وعبد الكريم الفكون وعبد القادر الراشدي في قسنطينة، ودروس البوني في عنابة، كانت مضرب الأمثال في العمق والإحاطة والراقي<sup>4</sup>، كما أن كبار العلماء الأندلسيين هم من كانوا يقومون بالتعليم في غالب الأحيان في هذا المستوى.

أما المواد التي كان يدرسها الطالب فهي: تفسير القرآن والحديث الشريف، والتوحيد وعلم الكلام، والتصوف، وعلوم اللغة، وفقه اللغة، وكان الطلاب في هذه المرحلة يدرسون الحساب والطب بطريقة سطحية وجافة، فمثلا يقرؤون كتب ابن سينا في الطب لكن لا يفقهونها، ورغم المستوى العالي للدروس التي كانت تقدم في هذه المرحلة، وحرص العلماء والمعلمين على تقديم دروس تضاهي وتفوق ما كان يقدم في الجامع الأموي والحرمين الشريفين، الى أن المؤسسة التعليمية في جميع مستوياتها، لم ترق الى المستوى العلمي العالمي آنذاك<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> رقية شارف، مرجع سابق، ص 48.

<sup>2</sup> سعد الله أبو القاسم، محاضرات...، مرجع سابق، ص 165.

<sup>3</sup> بونقاب مختار، الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال القرن 18م19م، مذكرة دكتوراه، جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس، 2016، ص 89.

<sup>4</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص، 273-274.

<sup>5</sup> رقية شارف، مرجع سابق، ص، 49-48.

### الفصل الثالث

#### دور الأوقاف في دعم وتمويل التعليم في الجزائر العثمانية

المبحث الأول: الأوقاف مصدر أساسي لتمويل التعليم:

أولاً- غياب ميزانية رسمية للتعليم

ثانياً- دور الوقف في تمويل وتمويل المؤسسات التعليمية

ثالثاً- مساهمة الوقف في تغطية أجور المعلمين والمتعلمين

المبحث الثاني: مآل الأوقاف بعد الغزو الفرنسي للجزائر:

أولاً. مصادرة الأوقاف

ثانياً- أثر السياسية الفرنسية على التعليم ومؤسساته.

### تمهيد:

إن كان التعليم هو أساس بناء المجتمعات وتطورها ورقبها عبر كامل العصور والأزمنة، فإن الوقف خلال العهد العثماني كان هو أساس الذي يقوم عليه التعليم بالجزائر العثمانية، في ظل غياب ميزانية خاصة به من خزينة الدولة، فالدولة لم تهتم بالتعليم من ناحية التمويل المالي، ولم تخصص ميزانية خاصة يقوم عليها، فقد كان للوقف في هذه الفترة دورا بارزا في الإنفاق على المعلمين والمتعلمين، والحفاظ على مراكز التعليم، وتشجيع الحركة العلمية، فانتشر التعليم في الجزائر بفضل عائدات الأوقاف التي كان تصرف لخدمة العلم وأهله.

### المبحث الأول

#### الوقف مصدر أساسي لتمويل التعليم

تحدثنا في الفصل الأول عن الانتشار الكبير للأوقاف، وأنها كانت تسير من طرف مؤسسات من أجل الحفاظ عليها وضمان صرفها في الوجه الذي وقفت له، وفي هذا المبحث سنتحدث عن دور الأوقاف في دعم وتمويل التعليم، في ظل غياب ميزانية رسمية له، فتكفل الوقف بتمويل مراكز التعليم، ولإنفاق على المعلمين والمتعلمين.

#### أولا: غياب ميزانية رسمية للتعليم:

خلال العهد العثماني في الجزائر لم تهتم السلطة بالتعليم ولم يكن لها دخل في شؤونه، لا من ناحية الإشراف ولا التمويل ولا من حيث الأهداف والغايات ورسم سياساته<sup>1</sup>، فلم يكن عندئذ وزير لشؤون التعليم، ولا مدير أو وكيل أو نحوها من الوظائف الرسمية التي تشرف على التعليم والنهوض به.

<sup>1</sup> صالح زيدور، مظاهر تطور التعليم في الجزائر أثناء الوجود العثماني، جسر المعرفة، العدد 5، 27 ديسمبر 2021، ص 180.

فقد كانت هموم الدولة وقتها منحصرة في الحفاظ على الاستقرار السياسي والأمن الداخلي والخارجي والدفاع عن الحدود، وجمع الضرائب لبيت المال، ولم تصرف هذه المداخيل في نشر العلم وترقية التعليم والنهوض به وتنمية الثقافة وتنشيطها، ولكنها صرفت في أجور الجند والمعدات الحربية وفي توزيع الهدايا والعطايا على السلطان العثماني وموظفي الدولة، فاهتمام الدولة لم ينصرف الى تطوير المجتمع اقتصاديا وثقافيا وعلميا، وإن فعلت شيئا من ذلك كان من قبيل الدين، رغبة في الأجر والثواب<sup>1</sup>.

فالأتراك لم يكونوا يعنون بالثقافة كعنايتهم بالحرب<sup>2</sup>، فالوجود العثماني بالجزائر ارتبط بالجهاد ضد الخطر الصليبي الذي بات يهدد سواحلها ومدنها، فكان الجهاد هو حافز الوجود العثماني في الجزائر.

ثم إن عدم معرفة كثير من الحكام باللغة العربية وثقافتها حال دون الاهتمام بها وبعلمها كاهتمامهم بشؤون الحرب<sup>3</sup>، فانعدام تشجيع الحكام للعلم واهتمامهم به راجع الى اختلاف اللغة بين العثمانيين والجزائريين<sup>4</sup>، والسياسة التي انتهجها العثمانيون نحو التعليم هي عدم التدخل في شؤونهم، فان انتشر التعليم فالأمر لا يعينها وإن تقلص فهو لا يعينها كذلك، وكل هذا لا ينفي وجود اسهامات للعثمانيين في التعليم لكنها كانت جهودا فردية نابعة من العقيدة الدينية، فالجهود التي بذلها بعض البايات مثل محمد الكبير وصالح باي من خلال تشجيعهما للعلم والعلماء وبناء المدارس والمساجد، كانت محاولات غير كافية نظرا لشاسعة الجزائر، وافتقارها لخطة مدروسة حالت دون بلوغ مرادهما في تحسين العلم والتعليم، وكونها لا تخرج عن محتواها من تبعية التعليم للدين، وهاته المحاولتين كانتا قصيرة الأمد فلم تثمر، ولم يكن الهدف الأساسي منها خدمة التعليم وإنما كان لغاية الشهرة<sup>5</sup>.

فالتعليم خلال العهد العثماني كان قائما على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية التي كانت تدعمه وتموله لضمان استمراريته وعدم انقطاعه، ويدخل في هذا العموم رجال الدولة لكن كأفراد لغايات متعددة كنبيل الأجر والثواب أو لغرض الشهرة، فالتعليم في الجزائر كان نابعا من حرص

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 313.

<sup>2</sup> مبارك الملي، مرجع سابق، ص 318.

<sup>3</sup> رحيمة قليل، مرجع سابق، ص 52.

<sup>4</sup> نفسه ص 52.

<sup>5</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 314.

الآباء على أولادهم امتثالا لأمر الدين وحثه لهم على طلب العلم، أو لأن الأطفال في سن الصغر لا يحتاجونهم في تأدية الأعمال فكانوا يرسلونهم لطلب العلم، وقد تكون وراثة بعض المهن كالتعليم أو القضاء والإفتاء مهن متوارثة في الأسرة كلها تقتضي على صاحبها أن يكون متعلما، وإما أن بعض المهن تقتضي منهم تعلم الحساب و الكتابة ونحوها كالتجارة و الحرف، كما ينطلق من التقاليد الجزائريين الراسخة في احترام المتعلم وتقدير العلم و أهله<sup>1</sup>.

ومما لا يفوتنا ذكره الإشارة التي قدمها أبو القاسم سعد الله حول وجود أحكام مختلفة عن موقف العثمانيين تجاه التعليم في الجزائر، حيث شكوا كثير من العلماء ولاحظ بعض الرحالة المسلمين والكتاب الأوروبيين تقريط الحكام في التعليم حيث أنهم لم يسنوا سياسة لتشجع التعليم والنهوض به، وفي المقابل سنوا سياسات بالتواطؤ مع علماء السوء الذين كانوا يأكلون أموال الأحماس بالباطل، ويفتونهم بجواز الاستيلاء والتصرف بالأموال المحبسة للتعليم بما يخدم أهواءهم ومصالحهم الشخصية<sup>2</sup>.

لكن هذه الصورة ستتغير حين نرى حال التعليم عند الجزائريين، حيث أشارت المصادر الى انتشار التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني وعن استعداد الشعب للتعلم وحبه للعلم والعلماء بشهادة الكثيرين، وعن اهتمام رجال السلطة بالأوقاف ودعمها من أجل ضمان بقائها وتأدية مهامها، وكل هذا تحدثنا عنه في الفصلين السابقين.

### ثانيا - دور الوقف في تمويل وتمويل المؤسسات التعليمية:

كان للوقف في العهد العثماني دور كبير في الحياة الدينية والعلمية، فهو مصدر العيش للزوايا والأضرحة، ومصدر الحياة والنمو للمساجد والمدارس والكتاتيب<sup>3</sup>. فقد أوقف المسلمون الوقوف الكثيرة على أماكن التدريس المختلفة كالمساجد والمدارس ودور القرآن والرباطات وخزانات الكتب، وحبسوا الأحماس لإدامتها والإنفاق عليها، حفظا للدين ورعاية للعلم وأهله<sup>4</sup>، وساهم الوقف في مجال التعليم اسهاما شموليا وحاسما، انطلاقا من محاربة الأمية وإيجاد أماكن للتعليم وتجهيزها، وبناء الكتاتيب القرآنية، لارتباطها بإشاعة التربية الدينية والعلمية

<sup>1</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، 314-315.

<sup>2</sup> نفسه، ص، 315-316.

<sup>3</sup> نفسه، ص 230.

<sup>4</sup> مجتمع المعرفة، دور الوقف في خدمة التنمية البشرية عبر العصور، مركز الإنتاج العلمي جامعة الملك عبد العزيز، الإصدار 19، رجب 1426، ص 27.

بالحضر والبادية، كما أن الأوقاف قامت بمستويات التعليم الابتدائي<sup>1</sup>، من خلال التكفل بالطلبة من الناحية المادية من مدخول الوقف. فعندما يدخل الطالب إلى الزاوية وهو في عمر ست سنوات فإن أوقاف الزاوية هي التي تضمن له معيشته وإقامته ودراسته، مهما مكث بها<sup>2</sup>. ويتجلى البعد العلمي للأوقاف الإسلامية في تمويل مراكز التعليم وتفعيل سيرها وإمدادها بالموارد المالية الضرورية لسد حاجاتها، كما أنها اهتمت بإنشاء المكتبات وتجهيزها وفتح أبوابها في وجه طلبة العلم.

وإضافة لإنشاء مراكز التعليم و الإنفاق عليها، فإن الأوقاف قد حرصت على توفير العاملين فيها بمختلف شرائحهم ووظائفهم، وشجعت طلبة العلم على الالتحاق بها من خلال التسهيلات التي وفرتها لهم<sup>3</sup>، فبفضل مردود الأوقاف أمكن فتح أبواب الزوايا لتعليم القرآن والسنة النبوية الشريفة<sup>4</sup>، ولم يقتصر الإنفاق على الزوايا وحدها فكما ذكرنا سابقا بأن التعليم كان يتم في غالبية الأمر بدوافع دينية، فقد هبت طبقات المجتمع بالقيام بهذا الواجب الديني من خلال وقف أموالها وممتلكاتها في سبيل نشر العلم و المعرفة وتغذية مؤسساته فكانت بذلك مؤسسة الأوقاف أول المصادر الرئيسية وأكبرها والتي شكلت العمود الفقري الذي يقوم عليه التعليم أثناء العهد العثماني.

وذكر كثير من الباحثين أن معظم المؤسسات الثقافية في الجزائر كالمسجد والمدارس والكتاتيب والمساجد التي كانت تقوم بمهمة التعليم وتشرف على التلاميذ، كانت أكبر مؤسسة تغذيها هي مؤسسة الأوقاف<sup>5</sup>، وقد بلغت الأوقاف الإسلامية نحو 66 بالمئة من مجموع الأملاك العقارية والزراعية. ويعود سبب ذلك إلى حب الجزائريين وشغفهم بحبس أموالهم على المساجد وأضرحة الأولياء وأندية العلم رجاء ثواب الآخرة<sup>6</sup>، وقد خصصت مؤسسات للإفاق

<sup>1</sup> فتحية حواس، "دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاجتماعية"، مجلة البحوث الأسرية، العدد 1، 6 فيفري 2022، ص 42.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء القرنين 12 و13 و18 و19م، البصائر الجديدة، الجزائر، ط2، 2013، ص 173.

<sup>3</sup> فتحية حواس، مرجع سابق، ص، 42-43.

<sup>4</sup> ناصر الدين سعيدوني، مرجع نفسه، ص 173.

<sup>5</sup> سمير أبيش، "دور مؤسسات الأوقاف في دعم الحركة التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، العدد 2، 31 ديسمبر 2020، ص 32.

<sup>6</sup> بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، بيروت، ط 2، 1983، ص 29.

على بعض المراكز فنجد مثلا مؤسسة سبل الخيرات والتي كانت تشرف على جميع الأوقاف الخاصة بالمذهب الحنفي من زوايا ومدارس ومساجد والتي تكون تابعة للمذهب الحنفي<sup>1</sup>. وخصصت كثير من الأوقاف للجامع الأعظم والتي ناهزت 550 وقفا، ويرجع سبب هذا لكثرة المالكية في الحواضر الجزائرية، كما أنه كان في مدينة الجزائر 92 مسجدا مالكية وكل مسجد خصصت له أوقاف خاصة تتفق عليه<sup>2</sup>، كذلك الحال مع الزوايا والتي كانت مكان للتدريس وتحفيظ القرآن أيضا، فقد حظيت هي الأخرى بأوقاف كان لها مداخيل من الأملاك الموقوفة يشرف عليها الوكيل، ومن أشهر هذه الزوايا في مدينة الجزائر زاوية القشاش، زاوية سيدي الجودي، زاوية الشرفاء، زاوية الأندلس، زاوية كتشاوة، وقد مثلت الزوايا مؤسسات خيرية وتعليمية يلجأ اليها الطلبة، وتتفق عليهم بفضل ما كانت تملكه من ثروة مادية من عائدات الأوقاف<sup>3</sup>.

ومن أشهر المؤسسات الوقفية الداعمة للتعليم ومؤسساته هي مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين، والتي تعتبر أغنى مؤسسة وقفية في الجزائر خلال العهد العثماني، فقد اهتمت بالتعليم فساهمت في بناء ونشر مدارس العلم وتدعيم طلبة العلم، ليس في الجزائر وحدها بل حتى في الحرمين الشريفين، بفضل ما كانت تقدمه من أموال وعائدات الأوقاف<sup>4</sup>، ويتجلى كذلك مساهمة الأوقاف في دعم مراكز التعليم من خلال الصرف على احتياجاتها المختلفة كالتغذية والإضاءة والتنظيف والتبييض والتأثيث<sup>5</sup>، وشراء الحصائر والزيوت للإضاءة<sup>6</sup>، وكان شراء الحصائر للفرش أو الخياطة بالنسبة للمساجد المتواضعة أما الجوامع الكبيرة فقد كانت تفرش بالسجاد الفاخر ووردت في تقييد مصاريف جامع عبيدي باشا شراء سجاد من مدينة تطوان المغربية.

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 237.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، ص 68.

<sup>3</sup> صبرينة لنوار، "مساهمة الأوقاف في تمويل التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة مدارات تاريخية، العدد 2، 30 جوان 2021، ص، 98-101.

<sup>4</sup> حنيش مليكة، "قراءة سوسيولوجية لدور الوقف في نشر العلم والبحث العلمي بالمجتمع الجزائري خلال فترة لحكم العثماني"، مجلة التنمية والمجتمع، دع، 2014، 290.

<sup>5</sup> يحيى بوعزيز، مرجع سابق، ص 59.

<sup>6</sup> عائشة غطاس، الحرف..، مرجع سابق، ص 131.

وفيما يخص ترميم وإصلاح المؤسسات الوقفية أو التعليمية كان يحدد البناء الذي أصابه الضرر مثل حائط أو باب مع تحديد أجره العمال، وكمية الجير وثمانه، أو الآجر أو التراب أو أي مادة استخدمت في الإصلاح، وتحديد أجره الحمالين وتسجيل مصروف فطور العمال، وأجرتهم سواء كانت يومية أو أسبوعية أو شهرية<sup>1</sup>، وأما عن عملية التبييض فهو طلاء الجدران بالجير الأبيض أو الجبس، وتتم مرة كل عام بالنسبة للأضرحة والزوايا<sup>2</sup>. هذا وقد عملت المؤسسات الوقفية على إجراء كل الإصلاحات اللازمة للمؤسسات التعليمية<sup>3</sup>، لضمان تأدية وظائفها الدينية والثقافية والتعليمية<sup>4</sup>.

وخلاصة القول أنّ الوقف كان المورد الأساسي للمدارس القرآنية والمعاهد والمساجد وجل المؤسسات التعليمية في الجزائر خلال الحقبة العثمانية<sup>5</sup>، فقد احضنتها بناء وإنشاء وعمارة وإنفاقاً<sup>6</sup>.

### ثالثاً - مساهمة الوقف في تغطية أجور العلمين والمتعلمين:

بفصل مردود الأوقاف والمداخيل التي يوفرها تمكن الحكام الجزائري العثمانية من إيجاد وسيلة مناسبة لتسيير بعض المصالح التعليمية والخدمات الثقافية التي لم تر الدولة ضرورة لرعايتها والإنفاق عليها من خزينة الدولة<sup>7</sup>، فاستفادت شرائح كثيرة من المؤسسات الوقفية مادياً، ومن أبرزها مدرسي المساجد والمؤدبين ومعلمي المدارس، فقد صنفت هذه الفئة ضمن قائمة الموظفين في المساجد ويتقاضون مرتبات وإعانات حسب درجاتهم، فالمؤدب أو المعلم في الكتّاب والمسيد كان يتقاضى أجره شهرية 2 ريال، والمدرسون في المساجد يتحصلون على مرتبات قارة مقابل تقديم الدروس، قدرة بخمس ريالاً شهرياً، هذا إضافة إلى الصدقات والإعانات النقدية والعينية التي كان يتحصل عليها والتي كانت تزداد قيمتها في المناسبات

<sup>1</sup> - وافية نفطي، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة 1، 2017، ص 477.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 480.

<sup>3</sup> - يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 59.

<sup>4</sup> - حنيفي هلال، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2008، ص 198.

<sup>5</sup> - مبارك الملي، مرجع سابق، ص 318.

<sup>6</sup> - وافية نفطي، مرجع سابق، ص 465.

<sup>7</sup> - ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001، ص 245.

الدينية<sup>1</sup>، كما أن مدرسو التعليم الثانوي و العالي من المحظوظين لأنهم وصلوا الى هذه المرتبة والمستوى من التعليم، فهو موظف عند الدولة يتم تعيينه من الباشا أو الباي، لكن أجمعت المصادر وأثبتت الوثائق أن الوظائف في المساجد كانت ثابتة، ومن بينها المدرس الذي يلقي الدروس الدينية من فقه وحديث، وكان هذا الأخير يتقاضى أجرة شهرية خصصت له من مداخيل الأوقاف الخاصة بكل مسجد<sup>2</sup>، ونسوق مثلا في هذا الجانب ما قام به باي الغرب محمد الكبير حيث قسم العمل في المسجد على مجموعة من الموظفين ورتب لهم مستحقات مالية وهي على النحو التالي:

إمام مسجد 40 ريال، مؤذنو المسجد الأربعة 20 ريالا، قراء القرآن وهم أربعة 10 ريال، مدرس صحيح البخاري 40 ريال، المدرسون للفقهِ والحديث والتفسير واللغة كل واحد منهم 10 ريال، مصحح ألواح الطلبة 40 ريال، وكيل المكتبة 15 ريال، راوي الحديث يوم الجمعة 10 ريال، منظر بيوت الطهارة 40 ريال<sup>3</sup>.

وكانت هذه الرواتب تأتي من عائدات الأوقاف، وأملاك الحبوس<sup>4</sup>.

ومن الشرائح التي استفادت من مردود الأوقاف، الطلبة الذي كانوا يستفيدون من مساعدات مالية، وهي عبارة عن منح شهرية تقدم لهم من عائدات الأوقاف، وهذا التقليد كان معمولا به في معظم المساجد والزوايا في ايةالجزائر، وهذا مرتبط مع المؤسسة الوقفية ومداخلها، فكلما زادت المداخيل زادت المنح وارتفعت<sup>5</sup>، فالوقف كالشجرة يحتاج إلى تعهد المستمر كي يزداد دخله، فإذا توقف الوكيل عند استغلاله فقط توقف الوقف تدريجيا عن الإيفاء بالحاجة، فكثير من المؤسسات الوقفية كانت تعاني من الشخّ و ضالة دخلها نتيجة إهمال الوكيل وبعضها تلفت بسبب عدم العناية بأوقافها أو عدم حصولها على أوقاف جديدة، وفي المقابل

<sup>1</sup> صبرينة لنوار، مساهمة الأوقاف...، مرجع سابق، ص 104.

<sup>2</sup> نفسه، ص 107.

<sup>3</sup> عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2014، ص 157.

<sup>4</sup> نفسه، ص 157.

<sup>5</sup> صبرينة لنوار، مساهمة الأوقاف...، مرجع سابق، ص 112.

كانت بعض المؤسسات الوقفية تتمتع بأوقاف ضخمة جدا ما جعلها مصدر ثروة لمن يتولاها مثل الجامع الكبير بالعاصمة الذي كانت له أوقاف ضخمة ومداخل عالية<sup>1</sup>.

إن ما سبق ذكره، دلالة قاطعة، على أهمية الوقف ودوره الكبير في حياة المؤسسات التعليمية وفي الإنفاق على الطلبة فكلما زاد الوقف ونما زادت معه منح الطلبة ورفاهيتهم داخل المؤسسات وكلما تقلصت ونقصت الأوقاف، قلت معه المنح والعطايا. ومن أوجه الإنفاق على الطلبة على سبيل المثال لا الحصر، مدينة قسنطينة التي كان عدد أماكن العبادة والتعليم بها يزيد 100 منها 35 مسجدا و169 زاوية ومدارس رئيسية يدرس بها 600 تلميذ، وكلهم يتقاضون منحة سنوية من وكيل الأوقاف تقدر بـ 36 فرنك للطالب، مع اعانة نصف سنوية تتألف من كميات معتبرة من الزيت والشموع والبخور والمساجد<sup>2</sup>.

ومن أشهر المؤسسات التي اعتنت بالطلبة مؤسسة سبل الخيرات التي تكفلت بدفع أجور الطلبة المكلفين بقراءة القرآن العظيم بالمساجد، كما تكفلت بتوزيع بعض الصدقات على المحتاجين والمساكين<sup>3</sup>، وتكفلت المؤسسة بجراية خاصة لكبار الموظفين مثل المفتي الحنفي الذي خصص له دخل سنوي لا يقل عن 150 جنيها، وقد أشرنا سابقا بأن مؤسسة سبل الخيرات قد تكفلت، بقراء القرآن، أو ما عرف بالحزابين وكان عددهم 28 حزابا<sup>4</sup>، واستفاد أيضا من أوقاف الجامع الكبير 19 مدرسا، وإمامين، مؤذنا مدرسا، و8 حزابين، و13 قيما مكلفين بإنارته والقيام ببعض الخدمات الضرورية<sup>5</sup>، وتفاوتت أجور موظفي المساجد التابعة لمؤسسة سبل الخيرات من حيث قيمة وعدد الراتب حيث بلغت قيمة موظفين بجامع السيدة 217 ريال من مجموع العائدات المالية المخصصة لهذا الجامع، و المقصود هنا بالموظفين هنا، الخطيب والإمام والمؤذنين والمدرسين و الحزابون وغيرهم..، و الملاحظ أن راتب الإمام لم يتغير فهي محصورة بين 12 و 15 ريال، أما الخطيب فقد تباينت من مسجد الى آخر وأعلاها كانت رتب الخطيب بالجماع الجديد 32 ريال، وراتب بالجامع الجديد 35 ريال، وهذا راجل للمهام المتعددة التي يقوم بها الخطيب حيث يكون الخطيب اماما وطيبا ومدرسا، وأحيانا مسؤولا عن

<sup>1</sup>- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص 232.

<sup>2</sup>- ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، مرجع سابق ص 246.

<sup>3</sup>- أحمد مريوش، مرجع سابق، ص 67.

<sup>4</sup>- ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 92.

<sup>5</sup>- نفسه، ص 93.

الأوقاف و الصدقات، كما كانت أجرة المدرس بين 9 و12 ريال، وأجرة الحزابون 4 ريالات، وكانت هذه الأجور تدفع شهريا<sup>1</sup>.

أما بالنسبة للموظفين بالمساجد ورواتبهم سنأخذ مدرسة شباليه التي أسسها محمد خوجة كنموذج، حيث ألحقت بها بيوت لسكن الطلبة، وكان عدد الموظفين بها هام ومتعددي المهام الى جانب مصاريف أخرى جانبية من ترميم وصيانة، ومصاريف جانبية خاصة بالمواسم، فقد قدر راتب الإمام بـ9 ريالات، والمدرس بـ6 ريالات، والحزابين الذين كان عددهم خمس حزابين كان يتقاضى كل واحد منهم 5 ريالات، وقارئ تنبيه الأنام 1ريال، وكلها كانت تدفع شهريا من عائدات الأوقاف<sup>2</sup>

وأسهمت عوائد مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين في مختلف جوانب الحياة العلمية، فقد أنفقت على الزوايا و المساجد والكتاتيب والمدارس، وتفعيل الحركة العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني<sup>3</sup>، واهتمت مؤسسة بيت المال بدفع أجور الأساتذة وتقديم المساعدات للمؤلفين والطلبة المعدومين<sup>4</sup>، ويشير ابن سحنون في كتابة بأن رواتب المدرسين بالجوامع كانوا يأخذونها من بيت المال<sup>5</sup>، وتكفلت كذلك مؤسسة أوقاف الأندلس بالإنفاق على المكلفين بالتعليم والشعائر الدينية، أما أوقاف الأولياء والأشراف فقد كان لها هي الأخرى دور في خدمة التعليم، فبالإضافة الى اهتمامها بالزوايا عن طريق بنائها، وإصلاحها، وصيانتها، وشراء السجاد والقناديل، فقد كانت تساهم أيضا في دفع أجور الموظفين، من معلمين ومقيمين ووكلاء وأئمة وحزابين ومؤذنين<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - وافية نفطي، مرجع سابق، 425-426.

<sup>2</sup> نفسه، ص 428.

<sup>3</sup> - مبيوع أحمد، مرجع سابق، ص 184.

<sup>4</sup> - عائش غطاس، الحرف والحرفيون، ص 128.

<sup>5</sup> - محمد بن حبور، "الحركة العلمية بالجزائر ومشاهير علماء بايلك الغرب"، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 2، 30 سبتمبر

2020، ص 98.

<sup>6</sup> - نفسه، ص، 186-187.

والواقع أنه ليس كل الأوقاف مخصصة للتعليم وحده، فقد كانت الأوقاف خير مساعد على صيانة المرافق العامة مثل الطرق والآبار والعيون والسواقي و الجسور والحصون، كما ساهمت الأوقاف في تخفيف شقاء المعوزين لما كانت تقدمه لهم من صدقات وإعانات مختلفة، ، مثلما كان العمل جاريا بالنسبة لأوقاف المرابطين والأشراف والحرمين الشريفيين وأوقاف أهل الأندلس وسبل الخيرات، فإنها وإن سخرت لخدمة التعليم وأهله، فإنها كذلك كانت تعمل على تماسك المجتمع الجزائري في جل جوانبه من تقديم العون للفقراء والمساكين، وإصلاح المرافق العامة كما سلف ذكره<sup>1</sup>، كما أن بعض أوقاف مكة و المدينة خصصت لإيواء فقراء مكة والمدينة مجانا، و الفائض منها يذهب الى فقراء الأماكن المقدسة سواء كانوا في المشرق أو الجزائر<sup>2</sup>.

إضافة الى الأوقاف التي سبق الحديث عنها، هناك أوقاف الثكنات والمنشآت العسكرية، والتي كان عددها في مدينة الجزائر سبع ثكنات تنال نصيبا وافرا من عائدات الأوقاف<sup>3</sup>، كما حظيت كذلك الأبراج والحصون بالعديد من الأوقاف خصصت للإنفاق على المعوزين من الجند، وصيانة بعض الثكنات والحصون والأبراج<sup>4</sup>. فبفضل عائدات الأوقاف تم تشييد العديد من الثكنات والحصون والأبراج والعمل على إصلاحها وصيانتها كما أسلفنا ذكره. كل هذا بقصد الدفاع عن البلاد ضد الهجمات البحرية الأوروبية وغارات القبائل داخل البلاد<sup>5</sup>.

وكان للوقف أيضا دور كبير في الحد من مظالم بعض الحكام وأحكامهم التعسفية، فقد كان الوقف وسيلة فعالة للحفاظ على الثروات والأموال والأراضي الموقوفة، لكونها لا تباع ولا تشتري ولا يمكن حيازتها بتصرف أو استحواذ أو مصادرة، وبالتالي لم يعد في استطاعة الحكام ذوي النفوذ مد أيديهم إلى الأملاك المحبسة. ورغم الظروف الصعبة التي عرفت الجزائر أواخر العهد العثماني، والتي دفعت بكثير من الحكام إلى إصدار قرارات العزل والمصادرة والتغريم فإن جل الأملاك الموقوفة ظلت في مأمن من ظلمهم وتجاوزاتهم بفضل الأحكام الشرعية

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 106.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، محاضرات...، مرجع سابق، ص 160.

<sup>3</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 75.

<sup>4</sup> نفسه، ص 70.

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 75.

الصريحة التي لم يجرؤ أحدٌ على انتهاكها أو التحايل عليها، وهذا راجع لعقيدة العثمانيين الراسخة حول حرمة الدين وأهله وممتلكاتهم، فكان ذلك رادعا لهم من انتهاك حرمتها أو أخذوها لصالحهم بحكم مكانتهم ونفوذهم الذي يخولهم ذلك<sup>1</sup>.

وهذا عكس المستدمر الفرنسي الذي عاث فسادا في الأوقاف الإسلامية ومؤسساته، بل طالت يده إلى المؤسسات التعليمية والتربوية، فدنسها وخربها واستعملها في غير الوجه التي صرفت له، وهذا ما سنتحدث عليه في المبحث القادم والأخير من هذا الفصل.

---

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، 73-74.

## المبحث الثاني

### مآل الأوقاف بعد الغزو الفرنسي للجزائر

منذ دخول المستعمر الفرنسي أرض الجزائر، كان الهدف الأساسي والإستراتيجي بخصوص الأوقاف هو تفويض دعائم نظام الوقف، وتشتيت شمله وهدم معالمه، فمنذ الأسابيع الأولى للاحتلال أصبحت مؤسسة الوقف مجالا مهما لها للتدخل في الشؤون الدينية للمسلمين، وهو ضمن المشاريع الفرنسية للتغلغل في بلاد الجزائر، فإدارة الاحتلال الفرنسي بالجزائر لم ترحم ممتلكات الوقف، إذ شنت ضدها حملة واسعة عبر سلسلة من القوانين والقرارات التي استهدفتها قصد الاستحواذ عليها، وفي هذا المبحث سنتحدث عن مصادرة المستعمر الفرنسي للأوقاف وأثر ذلك على التعليم.

#### أولا: مصادرة الأوقاف:

جاء في وثيقة الاستسلام المؤرخة في الخامس جويلية 1830، وجوب حماية الملكيات عموما والأوقاف خصوصا، كما تبين في الفقرة الخامسة التي تتضمن حرية كل فئات السكان في ممارسة دينهم والتصرف في ممتلكاتهم وتجاريتهم وصناعاتهم، وتؤكد على عدم تدخل السلطة في ذلك<sup>1</sup>، بالإضافة الى القائد الفرنسي الذي تعهد بشرفه على احترام المساجد والمدارس والممارسات الدينية الإسلامية، لكن لم يمض شهران على تأكيد هذه العهود و الموائيق، حتى ظهر للعيان غدر فرنسا التي أطلقت يد النهب والسلب والقمع وانتهاك الحرمات، لاسيما ما تعلق بالمؤسسات الدينية والشريعة الإسلامية و الأوقاف<sup>2</sup>.

حيث رأت السلطة الفرنسية أن المؤسسات الوقفية إحدى العقبات الصعبة التي تحد من سياسة الاستعمار في تحقيق التغييرات الكبرى، التي هي وحدها القادرة على تطوير المناطق التي أخضعها بالسلاح وتحويلها الى مستعمرة حقيقية، فنظام الوقف في نظر السلطات الفرنسية يتنافى مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها الوجود الاستعماري، بل كانت ترى الوقف كعقبة كؤودا في طريق المشاريع الكبرى التي يمكنها تطوير المناطق الاستيطانية التي

<sup>1</sup> معاوية سعيدوني، مرجع سابق، دراسات في الوقف الجزائري، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 83.

<sup>2</sup> محمد البشير الهاشمي مغلي، "التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي"، مجلة المصادر، العدد 6، مارس 2022، ص 167.

استولت عليها الجيوش الفرنسية. وفي هذا الصدد يقول الكاتب الفرنسي (Zeys): "إن الأوقاف تتعارض والسياسة الاستعمارية وتتنافى مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر"<sup>1</sup>، وتبعاً لهذه النظرة، اهتم التشريع الفرنسي بين سنتي 1830 و1843م بإدماج الأوقاف في المجال العقاري الاستعماري، وكان هذا هو الهدف الرئيسي للنصوص المبكرة التي وضعت سنة 1830، والتي أصبحت تشكل أساساً لكل الخطوات التي اتخذتها الدولة الاستعمارية بشأن الأوقاف<sup>2</sup>.

وتحدثت الوثائق الفرنسية عن الأملاك الكثيرة التي كانت تابعة لمؤسسة الأوقاف في الجزائر العاصمة وضواحيها، وفي غيرها من أنحاء البلاد، فقد ذكر "جرار دان"، مدير أملاك الدولة، في تقرير له سنة 1831م أن هيئة الأوقاف كانت تملك 1400 عقاراً في العاصمة، وأن مجموع العقارات المستولى عليها في مدينة عنابة وقسنطينة ووهران بلغت 3697 عقاراً. ويعترف الفرنسيون أنفسهم أنهم لم يسجلوا كل شيء لضياع معظم الدفاتر والسجلات، ومنذ أن وضع المستعمر الفرنسي قدمه على هذه الأرض شرع في تقويض دعائم الأوقاف وتشيتت شملها وهدم معالمها. ففي 7 ديسمبر 1830م أصدر الجنرال "كلوزيل" قراراً بفسخ أحباس الحرمين بدعوى أن مداخلها تتفق على الأجانب، كذلك الحال مع المسجد الكبير الذي انتزعت أوقافه<sup>3</sup>، كما جاء فيه أيضاً بوضع يد السلطة الفرنسية على الحبوس والممتلكات الهامة، وشمل المساكن والمحلات والمزارع والأراضي والمقرات التابعة للمؤسسات الوقفية وتحت أي مسمى سواء أملاك مكة والمدينة أو المساجد أو أي جهة وقفية أخرى، ومما جاء فيه أن تسييرها أو تأجيرها وتحديد مصلحة الأملاك التي تؤخذ عائداتها يكون من قبل الإدارة الفرنسية<sup>4</sup>.

وبدأ المستعمر الفرنسي في مصادرة وتصفية الأوقاف في 25 أكتوبر 1832، تحت مسمى مخطط جيرار دان حين تقدم المدير العام للأملاك الدولة بمخطط عام لتنظيم الأوقاف إلى المقتصد المدني، وهدفه من هذا وضع الأوقاف تحت إشراف الإدارة الفرنسية، ثم تطور هذا

<sup>1</sup> كمال منصور، مرجع سابق، ص 286-287.

<sup>2</sup> معاوية سعيدوني، مرجع سابق، ص 85.

<sup>3</sup> محمد البشير الهاشمي مغلي، مرجع سابق، ص 167-168.

<sup>4</sup> أبو بكر الصديق حميدي، "مصير الأوقاف في ظل الاحتلال الفرنسي أثناء القرن التاسع عشر"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 20، مارس 2019، 143.

المخطط ليأخذ شكل تقرير مفصل، وبذلك أمكن للسلطات الفرنسية بالجزائر فرض رقابتها الفعلية على الأوقاف، وتشكيل لجنة تسيورها يترأسها المقتصد المدني الفرنسي، الذي أصبح بحكم منصبه يتصرف بكل حرية في 2000 وقف، موزعة على 200 مؤسسة وقفية. وكانت هذه بداية استراتيجية تكتيكية لمصادرة وتصفية الوقف من قبل الإدارة الفرنسية<sup>1</sup>.

وأصدرت الإدارة الفرنسية قرارا آخر في أول أكتوبر 1844 ينص بصريح العبارة على أن الوقف لم يعد يتمتع بصفة المناعة، وأنه بفعل هذا القرار أصبح يخضع لأحكام المعاملات المتعلقة بالأموال العقارية، الأمر الذي سمح للأوروبيين بالاستلاء على كثير من أراضي الوقف التي كانت تشكل نصف الأراضي الزراعية الواقعة بضواحي المدن الجزائرية الكبرى، وبذلك تناقصت الأوقاف وشحت مواردها، فلم يتجاوز عددها 293 وقفا عام 1843م، وكانت قبل الاحتلال تقدر بـ 550 وقفا، وجاءت بعدها الخطوة التالية المتمثلة في مرسوم (Décret) 30 أكتوبر 1858 الذي وسع صلاحيات القرار السابق وأخضع الأوقاف لقوانين الملكية العقارية المطبقة في فرنسا، وسمح لبعض اليهود والمسلمين بامتلاكها وتوارثها. وأعقب هذا الإجراء القرار الأخير الذي عرف بقانون 1873م، والذي استهدف تصفية أوقاف المؤسسات الدينية لصالح التوسع الاستيطاني الأوروبي بالجزائر، وبذلك فقد الجزائريون إحدى الوسائل المادية والروحية والثقافية للوقوف في وجه مطامع الاستعمار ومخططاته الرامية إلى القضاء على مقومات الشعب الجزائري المسلم<sup>2</sup>.

وفي ظل سياسة المصادرة والتخريب التي انتهجتها فرنسا، لم يقتصر الأمر على المساجد والمدارس والزوايا والمؤسسات الوقفية، بل طالت يدها إلى المكتبات التي كانت عبارة عن خزائن للعلم تحوي الكتب ونقائس المخطوطات، فكان أشنع تجربة مرت بها المكتبات الجزائرية ما حدث لها إبان الاحتلال الفرنسي، وما رافقه من حروب أدت إلى تخريبها وهجرة كبار العلماء والأغنياء إلى الخارج مع كتبهم ووثائقهم ومخطوطاتهم. وقد روى الفرنسيون أنفسهم ما حدث لمكتبات قسنطينة ومعسكر وتلمسان وغيرها من تدمير وتحريق وتهديم، أما الكتب التي أرسلوها إلى مكتباتهم المحلية في فرنسا فلا حصر ولا عدّ لها<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> كمال منصوري، مرجع سابق، ص 289.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، الوقف أثناء العهد العثماني، ص 78، 79.

<sup>3</sup> سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر..، ج1، مرجع سابق، ص 299، 302.

### ثانياً - أثر سياسة المصادر على التعليم ومؤسساته:

تحدثنا فيما سبق عن انتشار التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، وأنه غطى ربوعها من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها، ومن مدنها وحواضرها الكبرى إلى أريافها وبواديها. وتكلمنا فقلنا بأن الوقف كان هو العمود الفقري للتعليم في جميع أطواره وجوانبه، فهو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها خاصة في الجانب المادي. وبانتشار الوقف وتكاثره انتعش التعليم وازدهر.

لكن وبعد الدخول الفرنسي للجزائر وتقويضه للمؤسسات الوقفية، وسن قوانين صادرة الأوقاف، وصرفها في غير الوجهة التي صرفت لها أول مرة، وبعد أن تناقصت الأوقاف وشحت مواردها وأصبحت إدارتها وتسييرها بيد المستعمر الفرنسي الذي استغلها لمصلحته، كيف أثر كل هذا على التعليم ومؤسساته؟

وَجَهِت إدارة الاحتلال ضربة قاضية للمنظومة التعليمية التي كانت قائمة في الجزائر بعد شهور قليلة من سقوط العاصمة، عندما استولت على الأملاك الوقفية التابعة للمؤسسات التعليمية، التي الحقنها بأملاك الدولة، فقد كانت تلك الإجراءات بمثابة قطع شريان الحياة لهذه المؤسسات التي سرعان ما اندثرت جراء ذلك، ذلك أن التعليم في العهد العثماني كان يعتمد في تغطية احتياجاته وأداء مهامه على موارد الأملاك المحبسة لصالحه وما تبرع به ذوي الجود والإحسان<sup>1</sup>، ولقد كان للاعتداء الفرنسي على المؤسسات الوقفية الأثر البالغ والعميق في تراجع المؤسسات التعليمية، ومن ثم انتشار الجهل والأمية. فقد تعرضت الزوايا إلى أعمال الهدم والبيع والتحويل، ولقيت المساجد نفس المصير حيث سجلت تراجعاً رهيباً.

فمثلاً، مدينة الجزائر وحدها كانت تضم 176 مسجداً قبل الاحتلال انخفض هذا العدد إلى خمس مساجد فقط، وحسب الإحصائيات فقد تعرضت 349 زاوية للهدم، ومن أشهرها زاوية الفشاش والصباعين، ولما شعر الفرنسيون بخطورة التعليم اتجهت أنظارهم إلى المدارس

<sup>1</sup> جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1844م، المركز الوطني للدراسات، الجزائر، طبعة خاصة، 2007، ص 5.

التعليمية وقطعت عليها التمويل الذي كان يأتي من إيرادات الأوقاف، وبهذا تقلصت المدارس حيث كانت قبل الاحتلال 39 مدرسة في حين لم يبق منها إلا 3 مدارس فقط<sup>1</sup>.

فبمصادرة الوقف جفت مصادر المال واختفت كثير من المراكز التعليمية عن الوجود كما أسلفنا ذكره، وعمت السلوكات الهمجية الاستعمارية كامل التراب الجزائري فانهارت المنظومة التعليمية، فشرد طلبة العلم، لأن الزوايا التي كانت تأويهم والكتاتيب قد أغلقت في وجوههم وانتشرت الأمية، وبسبب مصادرة الأوقاف حرم المدرسون من وظائفهم ومن مرتباتهم التي كانوا يتقاضونها من عائدات الأوقاف، وتراجعت مداخيل كثير من المؤسسات التعليمية التي لم تعطل، فلم تعد قادرة على الصيانة وتحمل التكاليف فتعرضت هي الأخرى للتقهقر وتعطيل مهامها<sup>2</sup>.

هذا وقد لخص السياسي الفرنسي، "دي توكفيل" Alexis De Tocqueville، الوضع الذي آلت إليه الأوقاف الإسلامية في الجزائر، وانعكاسات ذلك على التعليم ومؤسساته، حيث جاء في التقرير الذي كتبه عقب زيارته إلى الجزائر سنة 1847م ما يلي:

".. لقد وضعنا أيدينا في كل مكان على هذه الأملاك - يقصد الأوقاف - ثم وجَّهناها غير الوجهة التي كانت تُستعمل فيها في الماضي. لقد عطلنا المؤسسات الخيرية، وتركنا المؤسسات تموت، والندوات العلمية تتدثر، ومن حولنا انطفأت الأضواء، وتوقفت عملية تخريج علماء الدين والفقهاء، وهذا يعني أننا قد جعلنا من مجتمع المسلمين - أي الجزائريين - مجتمع أكثر بؤسا واضطرابا، وأكثر أمية وبربرية مما كان عليه قبل قدومنا"<sup>3</sup>.

ففي عشر سنوات من دخول المستدمر الفرنسي، كاد يختفي التعليم من مدينة قسنطينة، ولم يبق من 600 أو 700 تلميذ في الثانوية سوى 60 فقط. والمدارس الابتدائية التي كانت تسعين لم يبق منها سوى ثلاثين، ولا يتجاوز الأطفال فيها 350 بعدما أن كانوا 1300 أو

<sup>1</sup> سفيان شبيبة، "دوافع وتبعيات مصادرة الإدارة الاستعمارية الفرنسية للأملاك الوقفية في الجزائر"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 10، جوان 2014، ص 224-225.

<sup>2</sup> حميدي أبو بكر الصديق، مرجع سابق، ص 153.

<sup>3</sup> Alexis De Tocqueville, De la Colonie en Algérie, Editions complexe, Bruxelles, 1988, p.169-170.

1400. وقد كان صاحب التقرير الجنرال "بيدو" والمعلق عليه "دي توكفيل" صريحين جدا، عندما قال "بيدو" أننا أهملنا التعليم في الجزائر<sup>1</sup>.

فبعد مصادرة أملاك الأوقاف من طرف الإدارة الفرنسية، والتي كانت المصدر الأساسي للتعليم والمعلمين والمكتبات والمساجد والحركة العلمية على العموم، وضمتها لأملاك الدولة الفرنسية المعروفة بالدومين<sup>2</sup>، ولا تلك النفائس من المخطوطات والكتب مؤلفات التي أخذها المستعمر من المكتبات والمساجد والزوايا ونقلها الى مكاتبهم المحلية في فرنسا<sup>3</sup>.

ومن ثم نضب معين التعليم والمعلمين وتوقفت الحياة العلمية، وشغرت المساجد والمدارس والزوايا<sup>4</sup>، وانتشرت الأمية في الجزائر.

ومن هنا ندرك حقيقة الفرق الشاسع بين إدارة الحكام العثمانيين، وإدارة المستعمر الفرنسي، فالحكام العثمانيين ساهموا في انتشار التعليم والأوقاف، وقاموا بتدعيمها والصرف عليها لضمان بقائها وأداء دورها في خدمة المجتمع عموما والتعليم خصوصا، أما الفرنسيون فلم يوفوا بعهد ولا بذمة، فبمجرد دخولهم للجزائر ضربوا بالعهد التي قطعوها للجزائريين عرض الحائط، وعاثوا في أرض الجزائر فسادا. فبعد أن كان الجزائر يضرب بها المثل في انتشار التعليم وكثرة مؤسّساته، أصبحت خلال الحقبة الفرنسية مرتعا للجهل والأمية. فلولم يمن الله عليها برجال ضحوا بالنفس والنفيس من أجل تحريرها من أيدي الغزاة، لبقيت الى اليوم فرنسية، لكنها بفضل رجال التحرير والحركة الإصلاحية ها هي تنعم بحريتها وعروبيتها وإسلامها.

<sup>1</sup> - سعد الله أبو القاسم، تاريخ..، ج3، مرجع سابق، ص 27.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 19.

<sup>3</sup> - حميدي أبو بكر الصديق، مرجع سابق، ص 154.

<sup>4</sup> - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر..، ج3، مرجع سابق، ص 19.

# خاتمة

## خاتمة

- بعد دراستنا لموضوع الأوقاف الإسلامية في الجزائر ودورها في التعليم خلال العهد العثماني، استخلصنا مجموعة من الاستنتاجات يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:
- تعود بداية الوقف إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وما تزال مستمرة إلى يومنا هذا. وهو من أعمال البر والإحسان التي لا ينقطع أجرها، لأنه من الصدقات الجارية التي تنتفع الإنسان في الدنيا وآخرة.
  - عرفت الأوقاف الإسلامية في العهد العثماني بغناها، ومساهمتها في العديد من جوانب الحياة داخل المجتمع الجزائري.
  - كانت للأوقاف مؤسسات خاصة قائمة بذاتها، مستقلة إداريا وماليا.
  - ساهم الحكام العثمانيون في انتشار الأوقاف بالجزائر، من خلال التبرع من مالهم الخاص لأوقاف المساجد والزوايا والمدارس وغيرها.
  - عرفت الجزائر خلال العهد العثماني انتشارا واسعا للتعليم، وكثرة في المؤسسات التعليمية وتنوعها: المساجد، الزوايا، الكتاتيب، المدارس. لكن ما قلل من أهمية هذا التعليم، غلبة ظاهرة التصوف على الحياة العلمية، وإهمال الجزائريين للعلوم التجريبية، أو العلوم العقلية بتعبير ذلك الوقت.
  - مر التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، بثلاث مراحل، اشتركت جميعها في تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم علوم الحديث والتفسير، وقواعد اللغة.
  - إلى جانب مساهمة الأوقاف في الحياة الاجتماعية والاقتصادية من خلال مساعدة الفقراء والمحتاجين، وإنشاء وترميم الثكنات والحصون العسكرية، ساهمت بصورة فعالة في الحياة العلمية والثقافية، وهذا من خلال:
- دعم وتمويل مراكز التعليم.

- تغطية رواتب المعلمين.
  - توفير الوسائل التعليمية.
  - توفير الإيواء والغذاء للطلبة.
- وهذا يدل على أنّ التعليم آنذاك لم يكن عبئا على الدولة، بل تولاه المحسنون من أفراد المجتمع على اختلاف طبقاتهم.
- وبفضل عائدات الأوقاف الكبيرة التي كانت تصرف في خدمة التعليم، عرف التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني انتشارا واسعا.
- طبقت فرنسا سياسة الحجز والمصادرة على الأوقاف، فمن خلال سلسلة من المراسيم والحيل القانونية، تمكّنت من وضع يدها على ممتلكات الأوقاف.
  - كان لتلك السياسة الاستعمارية أثرها البالغ على الأوقاف والتعليم، بحيث قلت الأوقاف وتراجع عددها. وتراجع الأوقاف فقد التعليم مورده الأساسي الذي كان يتغذى عليه، فبدأ يتراجع شيئا فشيئا، حتى انتشر الجهل وعمت الأمية البلاد.
  - هناك فرق شاسع بين سياسة الحكام العثمانيين، وسياسة القادة الفرنسيين تجاه الأوقاف والتعليم، فالعثمانيون ساهموا بأنفسهم في الأوقاف، وشجعوا العلم والتعليم، وفي المقابل لم يُبد القادة الفرنسيين أيّ احترام لقدسية الأوقاف، بل عمدوا إلى مصادرتها وضمها إلى أملاك الدولة، ثم وجّهوها لخدمة أغراضهم الاستعمارية. فكان ذلك ضربة قاضية للتعليم في الجزائر، بما فيه مؤسّساته، وطلّبه ومعلّميّه.
- ومن هنا يتّضح أنّ الوقف كان مؤسّسة حضارية عريقة، ساهمت بفعالية في بناء المنظومة التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني، فضلا عن دورها الهام في الجانب الاجتماعي. أما في عهد الاحتلال الفرنسي فقد أدت سياسة فرنسا الاستعمارية القائمة على مصادرة الأوقاف، إلى تراجع كبير في الحركة العلمية وذلك لانهايار مصدر تمويل التعليم ومؤسّساته، وقد شكل ذلك خطرا كبيرا على قيم المجتمع الجزائري، ومقوّمات شخصيته الوطنية.

الملاحق

الملحق رقم 1: قائمة بأوقاف الحرمين الشريفين بفحص مدينة الجزائر<sup>1</sup>

**الجنائدي**  
 فخير الحاج بكير، أعنه جواد أنزكي جميع الجنة الكلابنة بمصر  
 لدا ب وهو شكي الخشتايرد واعفابه وانج جمع للحم الشئ يعي

فخير الحاج عثمان ريسر بن سليمان جميع الجنة الكلابنة بمصر على روجه الولد  
 زينا بنت سليمان واوهاده وعلى مر استنباله وهو محمد بن علي واعفابه ثم للحم ميني

فخير عمر بن محمد بن جاروشاير بن سليمان جميع الجنة بمصر على اسلمه  
 على اوهاده محمد وعبد الله وعبد الغادر ومحمدي واحمد وجوسه ومايترا بده  
 دون اوهاده ثم للحم ميني الشئ يعي

فخير محمد ابنا جوجي الخشتاير بن سليمان جميع الجنة على روجه فاضلي  
 بت بكير واعفابه ثم للحم ميني الشئ يعي

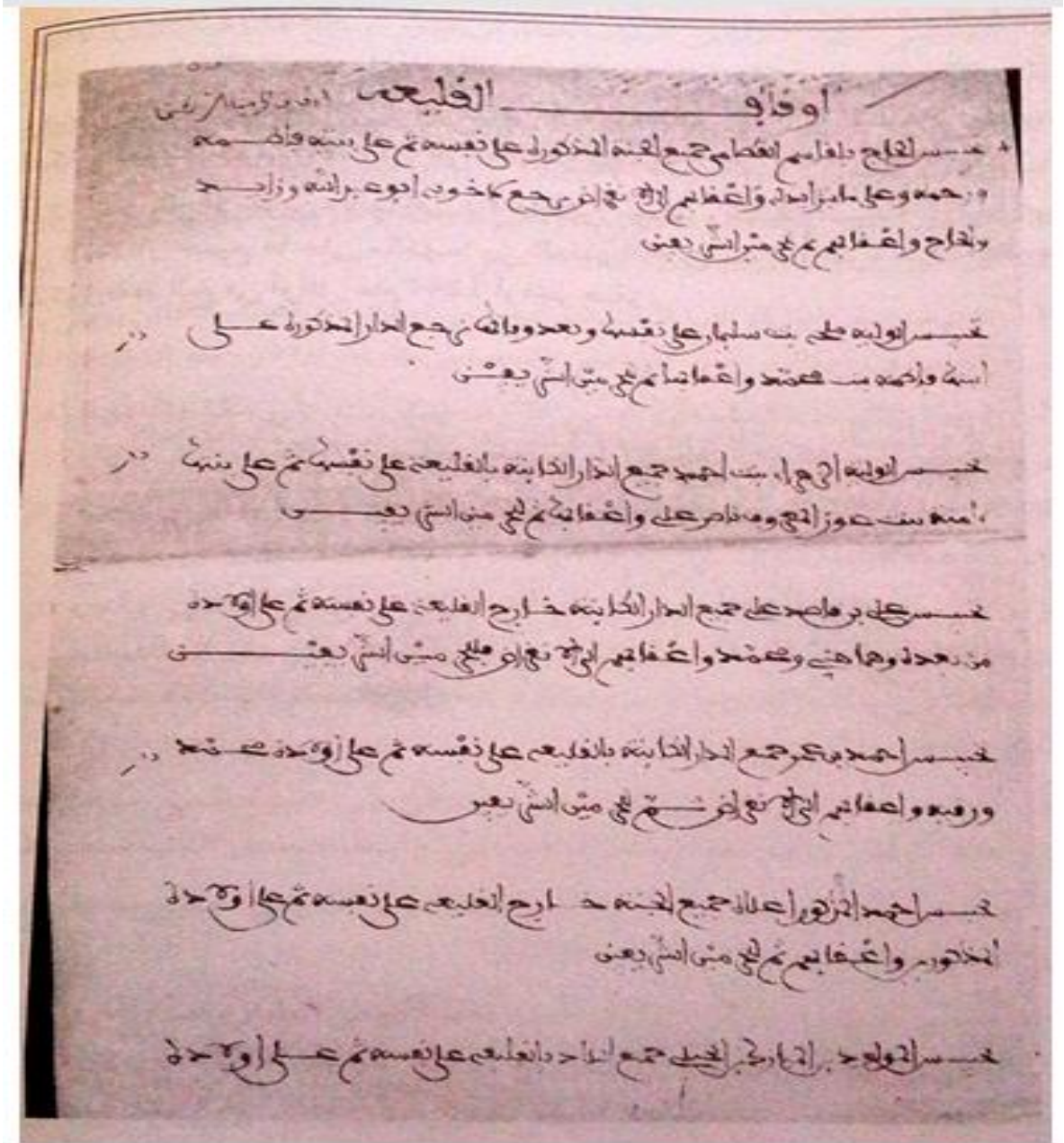
فخير الحاج فاسم الخشار بن علي جميع الجنة والي فغنة المذكور بن علي ابنته  
 اسباب عبد الرحمن واعفابه ثم لشغيف حميرد و محمد انصاوا بنتها واعفابه  
 ثم للحم ميني الشئ يعي

فخير علي فوجه بن محمد جميع الجنة بمصر تلامه على اوهاده مصعب واحمد  
 وحسين وعزيرد واعفابه ثم للحم ميني الشئ يعي

<sup>1</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 193.

الملحق رقم 2: قائمة بأوقاف الحرمين الشريفين بمدن القليعة والبليدة وشرشال

والمدينة<sup>1</sup>



<sup>1</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، 258.



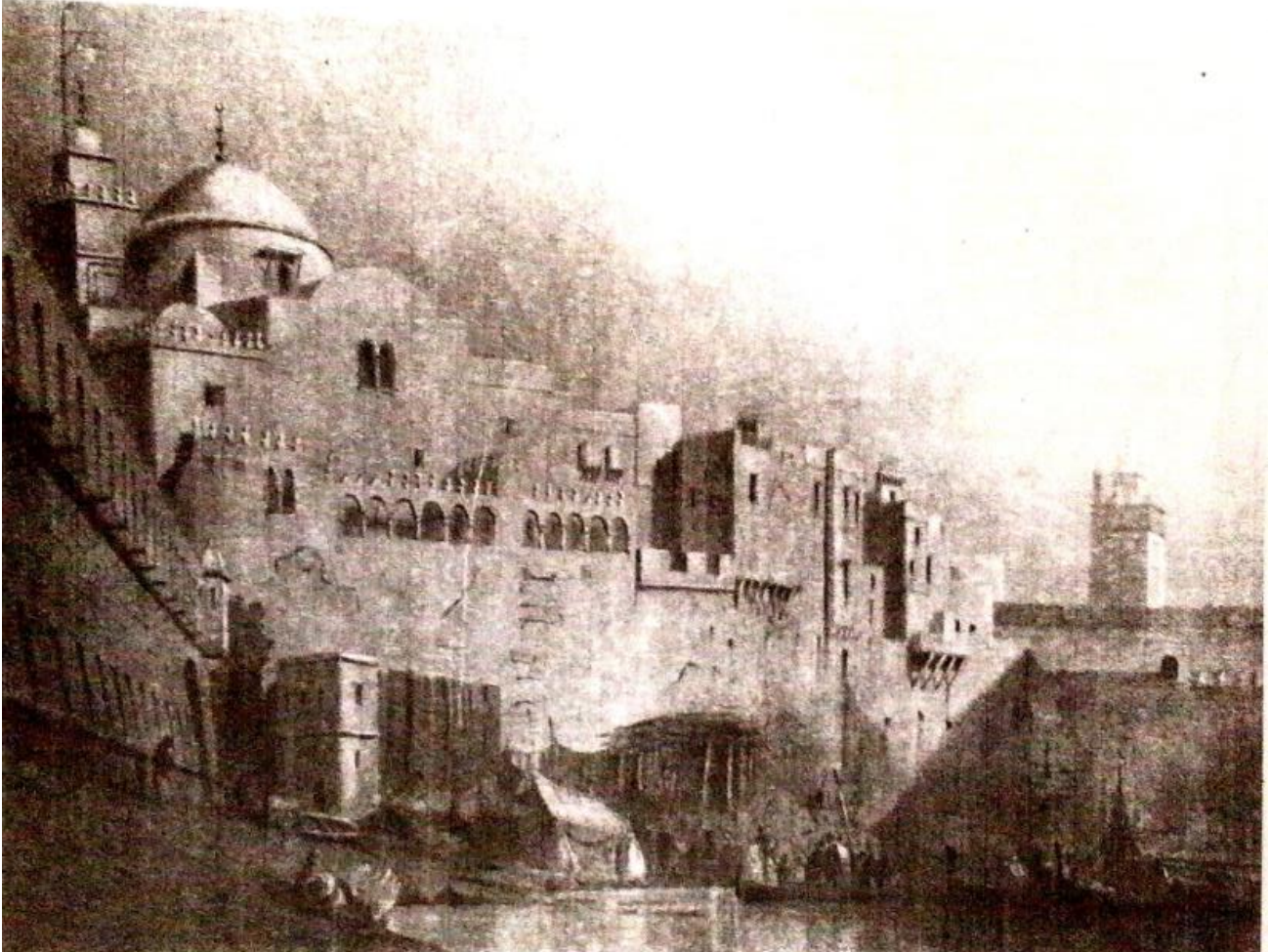
الملحق رقم 4: المسجد الأعظم (الجامع الكبير) مقر المفتي المالكي بمدينة

الجزائر<sup>1</sup>



<sup>1</sup> - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 620.

الملحق رقم 5: المسجد الحنفي (الجامع الجديد) مقر المفتي الحنفي بمدينة الجزائر<sup>1</sup>



<sup>1</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، 307.

الملحق رقم 6: جول عام لمصاريف أوقاف بعض المؤسسات الدينية حسب تقدير المدير المالي للإدارة الفرنسية بالجزائر بتاريخ 30 سبتمبر 1842 مقدر بالفرنكات<sup>1</sup>

السنة	أوقاف الحرمين الشريفين	أوقاف سبل الخيرات	أوقاف أهل الأندلس
1836	105701.15	9750.40	-
1837	109895.99	13341.27	3970.80
1838	109937.25	13903.70	3973
1839	143068.62	12192.709	4141.24
1840	166495.25	12712	3384.20
1841	177268.91	10615.55	2775.20
المجموع	812367.17	72515.61	18734.20

<sup>1</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الوقف أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، 71.

## قائمة البيليوغرافية

أولا - المصادر

أ- باللغة العربية:

- 1- بن دوناس أبو الحجاج يوسف الفندلاني، تهذيب المسالك في نصره مذهب الإمام مالك، تحقيق: مراد يحيى، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008.
- 2- بن شرف أبي زكريا يحيى النووي الدمشقي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ط1، مطبوعات ميموني للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.
- 3- بن عثمان حمدان خوجة، المرأة، تحقيق وتعليق وتقديم: العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 2006.
- 4- بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمدية، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
- 5- شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب وتعليق وتقديم العربي إسماعيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 6- شو توماس، رحلة إلى إيالة الجزائر، ترجمة وتعليق بوطبة لخضر، دار الباحث، الجزائر، 2022.
- 7- القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

ب - بالفرنسية:

- 1- Alexis De Tocqueville, De la Colonie en Algérie, Editions complexe, Bruxelles ,1988, p.169-170.

ثانيا - المراجع:

أ- الكتب:

1. أبو زهرة محمد، تنظيم الإسلام للمجتمع، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت.
2. البوعبدلي المهدي، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013.
3. دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1975.
4. زيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت.
5. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، الأجزاء 1، 2، 3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
6. سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، عالم المعرفة، الجزائر، ط2، 2020.
7. سعد الله فوزي، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، ج 2، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط2023، 2023.
8. سعيدوني معاوية، دراسات في الوقف الجزائري، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
9. سعيدوني ناصر الدين، الشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
10. سعيدوني ناصر الدين، الوقف في الجزائر أثناء العهد العثماني من القرن 17 الى القرن 19، طبعة خاصة، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

11. سعيدوني ناصر الدين، الوقف في الجزائر أثناء القرنين 12 و13 هـ/18 و19م، البصائر الجديدة، الجزائر، دط، 2013.
12. سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001.
13. الصادق عبد الرحمن الغرياني، مدونة الفقه المالكي وأدلته، ج4، د. ط، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2006م.
14. العسلى بسام، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، بيروت، ط2، 1983.
15. غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، دط، 2007.
16. قنان جمال، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1844م، المركز الوطني للدراسات، الجزائر، طبعة خاصة، 2007.
17. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، الوقف مفهومه - فضله - أركانه - شروطه - أنواعه، السعودية، د. ط، 1466هـ.
18. مريوش أحمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
19. منصور كمال، الإصلاح الإداري لمؤسسة قطاع الأوقاف (دراسة حالة الجزائر)، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ط1، 2011م.
20. الميللي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د. ط، د. ت.
21. نسيب محمد، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، دمشق - الجزائر، د.ت.
22. هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2008.

**ب - المذكرات والرسائل الجامعية:**

1. آل سيد الشيخ سعاد، رحلة المجاجي دراسة وتحقيق 1063هـ - 1652م، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2008.
2. أمير يوسف، أوقاف الدايات بمدينة الجزائر وفحوصها من خلال سجلات المحاكم الشرعية 1671م-1830، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2009-2010.
3. بلغيث عبد القادر، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 2014.
4. دخية فاطمة، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2015.
5. شارف رقية، التاريخ والمؤرخين الجزائريين خلال العهد العثماني والى غاية 1267هـ - 1850م، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2017.
6. شجري معمر رشيدة، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر في فترة الدايات (1671-1830م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2006.
7. عبو إبراهيم، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13هـ / 16-19م، رسالة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، 2018.
8. غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اجتماعية-اقتصادية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر، 2000-2001.
9. قليل رحيمة، حركة التأليف في الجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، 2020-2021م.
10. نفطي وافية، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن 18م الى منتصف القرن 19م، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2017.

**ج - المقالات:**

1. أبيش سمير، دور مؤسسات الأوقاف في دعم الحركة التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، العدد 2، 31 ديسمبر 2020.
2. بخوش صبيحة، وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد 2، جويلية 2008م.
3. بلحسن رحوي آسيا، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال، مجلة دراسات نفسية وتربوية، عدد 7، ديسمبر 2011م.
4. بن حبور محمد، الحركة العلمية بالجزائر ومشاهير علماء بايلك الغرب، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 2، 30 سبتمبر 2020.
5. بن عمر حمدادو، واقع الحياة الثقافية والفكرية أواخر العهد العثماني بباليك الغرب، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد 7، 5 مارس 2012.
6. بوشيبة ذهبية، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 3-4، مارس 2012.
7. بوعزيز يحيى، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرن التاسع عشر والعشرين، الدراسات الإسلامية، العدد 7، 2005.
8. حميدي أبو بكر الصديق، مصير الأوقاف في ظل الاحتلال الفرنسي أثناء القرن التاسع عشر، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 20، مارس 2019.
9. حواس فتحية، دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاجتماعية، مجلة البحوث الأسرية، العدد 1، 6 فيفري 2022.
10. دباب زهية، السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيو تاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 1، 8 جوان 2021م.

11. دريدي وفاء، مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين بالجزائر ودورها في خدمة المجتمع الجزائري ومجتمعي مكة والمدينة خلال القرن 11هـ، مجلة تجسير للأبحاث والدراسات متعددة التخصصات، العدد 1، 30 ديسمبر 2022.
12. دلbaz محمد، الحركة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني المساجد والكتاتيب . أنموذجا .، مجلة متون، 2008.
13. رموم محفوظ، حركة التعليم في الجزائر المحروسة بين 1500-1830، مجلة الحقيقة، العدد 27، ديسمبر 2013.
14. زيدور صالح، مظاهر تطور التعليم في الجزائر أثناء الوجود العثماني، جسور المعرفة، العدد 5، 27 ديسمبر 2021.
15. شبيرة سفيان، دوافع وتبعيات مصادرة الإدارة الاستعمارية الفرنسية للأموال الوقفية في الجزائر، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 10، جوان 2014.
16. شدري معمر رشيدة، المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518-1830م، مجلة المعرفة، العدد 20، 2016.
17. عليوان اسعيد، أوقاف الجزائر في العهد العثماني ومساهمتها الاجتماعية والثقافية، مجلة الإحياء، العدد الحادي عشر، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، د.ت.
18. لنوار صبرينة، المهام الاقتصادية لمؤسسة بيت المال خلال العهد العثماني، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، العدد 7، جوان 2017.
19. لنوار صبرينة، مساهمة الأوقاف في تمويل التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة مدارات تاريخية، العدد 2، 30 جوان 2021.
20. مجموعة مؤلفين مجهولين، دور الوقف في خدمة التنمية البشرية عبر العصور، سلسلة نحو مجتمع المعرفة، مركز الإنتاج العلمي جامعة الملك عبد العزيز، الإصدار 19، رجب 1426.
21. محمد سيد أشرف صالح، المراكز الثقافية في دار السلطان أواخر العهد التركي، مجلة أماراباك، العدد 7، 2013.

22. الهاشمي مغلي محمد البشير، التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي، مجلة المصادر، العدد 6، مارس 2022.

# فهرس الموضوعات

الصفحة	المحتوى
	شكر وعرهان
	الإهداء
5-1	مقدمة
22-6	<b>الفصل الأول: الأوقاف الإسلامية في الجزائر العثمانية</b>
7	المبحث الأول: التعريف بالوقف وموقف رجال السلطة منه
7	أولاً- تعريف الوقف
8	ثانياً- مشروعية الوقف
8	ثالثاً- أقسام الوقف
10	رابعاً- موقف رجال السلطة من الأوقاف
13	المبحث الثاني: المؤسسات الوقفية في الجزائر
13	أولاً- الحالة العامة للأوقاف
14	ثانياً- أهم المؤسسات الوقفية
14	1- أوقاف الحرمين الشريفين
17	2- أوقاف الجامع الأعظم وبقية المساجد المالكية والحنفية
18	3- أوقاف مؤسسة سبل الخيرات
19	4- أوقاف مؤسسة بيت المال
20	5- أوقاف الأولياء والأشراف وأهل الأندلس
44-23	<b>الفصل الثاني: التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني</b>
24	المبحث الأول: واقع التعليم ومؤسساته
24	أولاً- انتشار التعليم
27	ثانياً- المؤسسات التعليمية
27	1- الكتاتيب القرآنية
28	2- المساجد
30	3- الزوايا

32	4-المدارس
33	5-المكتبات
36	المبحث الثاني: خصائص التعليم ومراحله
36	أولاً- خصائص التعليم
40	ثانيا - مراحل التعليم
40	1- التعليم الابتدائي
41	2 - التعليم الثانوي
43	3- التعليم العالي
61-45	الفصل الثالث: دور الوقف في دعم وتمويل التعليم في الجزائر العثمانية
46	المبحث الأول: الوقف مصدر أساسي لتمويل التعليم
46	أولاً- غياب ميزانية رسمية للتعليم
48	ثانيا- دور الوقف في تمويل وتمويل المؤسسات التعليمية
51	ثالثاً- مساهمة الوقف في تغطية أجور المعلمين والمتعلمين
56	المبحث الثاني: مآل الأوقاف بعد الغزو الفرنسي للجزائر
56	أولاً- مصادرة الأوقاف
59	ثانيا- أثر السياسة المصادرة على التعليم ومؤسساته
63	الخاتمة
66	الملاحق
73	قائمة البيبليوغرافية
81	فهرس الموضوعات
84	الملخص

**المخلص:**

تميّزت الأوقاف الإسلامية في الجزائر خلال العهد العثماني (1519- 1830م)، بغناها وتنوّعها وشمولها لمختلف المؤسسات وخاصة التعليمية: المساجد، الكتاتيب، الزوايا، المكتبات، وهي أوقاف شارك فيها المحسنون من عموم الشعب، كما ساهم فيها رجال الدولة من أموالهم الخاصة..

للأوقاف أهمية بالغة في دعم التعليم في الجزائر العثمانية، إذ كانت بمثابة الميزانية التي يُفق منها على المؤسسات التعليمية، وهذا لعدم رصد السلطة لميزانية رسمية لهذا القطاع الهام. هذا وقد أكّدت تقارير الفرنسيين، وكذا شهادات العديد من الرّحالة الأجانب الذين زاروا الجزائر خلال هذا العهد، على أنّ التعليم كان منتشرًا جدًا في الجزائر، ومتاحًا لجميع الناس، على اختلاف طبقاتهم، لكونه كان مجانيًا في جميع مراحلها.. غير أنّ هذا التعليم كان يُعاني من عدّة نقائص منها: إهمال العلوم العقلية، واعتماده على الأساليب التقليدية القائمة على الحفظ والتلقين..

واللّافت للانتباه، هو أنّ انتشار التعليم ومجانيته، لم يكن ممكنا لو لا تلك الأوقاف التي تكفّلت برواتب المعلّمين وإيواء الطلبة، وتوفير وسائل الدراسة، وتكاليف صيانة المؤسسات التعليمية. لكن هذا الوضع تغيّر تماما مع الاحتلال الفرنسي للجزائر، فقد أسالت هذه الأوقاف لعاب السّطات الاستعمارية فعمدت إلى مصادرتها، فكان ذلك ضربة قاضية أدت إلى انهيار التعليم، وتشتيت رواده من طلبة ومعلّمين، وطبيعي أنّ ينتج عن ذلك، بعد عقود قليلة، انتشار الأمية بشكل لم تعرفه الجزائر في تاريخها الطويل.

هذا هو الموضوع الذي اجتهدت في دراسته في هذه المذكرة الموسومة بـ "الأوقاف الإسلامية في الجزائر ودورها في التعليم خلال العهد العثماني".

: Résumé

Les fondations islamiques en Algérie pendant la période ottomane (1519–1830) se sont distinguées par leur richesse, leur diversité et leur couverture de zaouias ,diverses institutions, notamment éducatives : mosquées, koutoubias bibliothèques. Ces waqfs ont bénéficié de la participation de bienfaiteurs issus du peuple, ainsi que de la contribution de personnalités politiques qui y ont investi leurs fonds personnels.

Les waqfs ont joué un rôle très important dans le soutien à l'éducation dans l'Algérie ottomane, car ils constituaient le budget alloué aux institutions éducatives, les autorités n'ayant pas prévu de budget officiel pour ce secteur important.

Des rapports français, ainsi que les témoignages de nombreux voyageurs étrangers qui ont visité l'Algérie à cette époque, confirment que l'éducation était très répandue en Algérie et accessible à tous, quelle que soit la classe sociale, car elle était gratuite à tous les niveaux.

Cependant cet enseignement souffrait de plusieurs lacunes, notamment la négligence des sciences intellectuelles et le recours à des méthodes traditionnelles basées sur la mémorisation et l'apprentissage par cœur.